سلسلة

١

القلوب السليمة

و

الألفاظ المصاحبة لها

تأليف :د/عايدة طلحة

(سلسلة) ١

القلوب السليمة

و

الألفـــاظ المصاحبة لها

الجزء الأول

القلب السليم

القلب المنيـب

القلب المخبت

القلب الوجـل

القلب الخاشع

تأليف :د/عايدة طلحة

تصميم الغلاف :مهندسة /نداء إبراهيم

مقدمة

الكتاب في الأصل رسالة دكتوراه، وقد نال مرتبة الشرف الأولى ،واثنى عليه السادة الأساتذة المناقشين ،وقد أخذ مني الجهد والوقت الكثير، الموضوع يخص المتخصصين في اللغة والدراسات الإسلامية والدعوة والمثقفين والعامة.

القلب من أهم الأعضاء ، وما صاحبه من صفات ،سواء للقلب السليم أو المريض لم يصاحب عضوا آخر فهو بحق ملك والأعضاء جنوده ،والكسب منسوب إليه ،سواء كان كسبا للخير أم الشر ، للإيمان أو الكفر ،لذا كانت دراستي حول القلب والألفاظ المصاحبة له .فقد أحصي في الدراسة (٢٦) لفظا متعلقا ومصاحبا للقلوب السليمة المحمودة، ولكي يتحقق النفع والاستفادة للمطلع على البحث آثرت أن يكون في كتيبات حتى يكون عملا خفيفا على المطلع فلا يمل منه .

المبحث الأول: القلب السليم

المجموعة الدلالية الأولى:(س ل م)

لفظ هذه المجموعة: سليم.

القلب هو المحرك الرئيس لجوارح الإنسان ،فإن كان قلبا سليما منقادا لتوجيهات الشرع ،وفق لأعمال الخير التي فيها صلاحه و فلاحه في الدارين ،وإن كان قلبا مريضا ظهر الفساد في أعماله فخسر الدنيا والآخرة، فالقلب كما قال أبو هريرة رضي الله عنه :"ملك والأعضاء جنوده ،فإذا طاب الملك طابت جنوده ،وإذا خبث الملك خبثت جنوده "،فينبغي على المسلم أن يكون حريصا على قلبه بالابتعاد عما يحيد به عن الصراط المستقيم.

وكثيرة النصوص القرآنية التي ذكر فيها القلب وصفاته وأحواله.

وبعد استقراء صفات القلوب التي وردت في القرآن الكريم ،تبين أن هناك العديد من صفات القلوب ،فهناك صفات للقلوب السليمة ،وصفات للقلوب المريضة ،وسأتناول في هذا الفصل صفات القلوب السليمة.

ذكر لفظ سليم في القرآن الكريم مرتين مقترنا بالقلب.

سلم لغة: (س ل م) : (سَلِمَ) خلص ونجا مِنْ الْآفَاتِ فهو سالم[1]السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى. وَالسَّلَامُ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْعُيُوبِ[2]وَقَلْبٌ سَلِيمٌ أَيْ سَالِمٌ[3] .معظم بابه من الصحة والعافية فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة و الأذى (٤). وهو الذي لم يشرك بالله قط[5].

---

(1) المصباح المنير ٤٣٧/١، ٣٤٨.

(2) مختار الصحاح،(سلم)، ٣١١.

(3) مقاييس اللغة ٩١/٣.

(4) تأويل مشكل القرآن ،ابن قتيبة ٣٣٨/١.

سلم اصطلاحا:

سليم :قلب سليم: خالص من الشرك والذنوب[٦]. وهو أيضا :الإسلام ،وهو التسليم لله بلا منازعة، وهو جعل كل شيء عين وعرض ،مخلوقا لله تعالى ،واعتقاد أنه تعالى موجود بلا بداية ولانهاية، موصوف بالصفات الحسنة[٧].

ومن أسباب السلامة حمل النفس على الطاعات وأعمال الخير، وتزكيتها من الشرور والآثام[٨]،قال تعالى:"قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها"[٩].

ورد لفظ سليم في القرآن الكريم كصفة من صفات القلوب بمعنى: خالص من الشرك والذنوب[١٠].

.(سَلِيمٍ):

ورد لفظ سَلِيمٍ مقترنا بالقلب مرتين في القرآن الكريم[١١]:

قال تعالى:﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ **(١٢)** .

أتى: الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصولُ[١٣].الآتي إليك لا يكون شيء من بدنه عند غيرك[١٤].

---

(٥) الأضداد، عبدالملك بن قريب الباهلي الأصمعي ٣٨/١.

(٦) معجم ألفاظ القرآن الكريم،٥٨٨/١.

(٧) الكليات ٤٢٦.

(٨)المنظومة التبريزية في العقيدة الصحيحة السنية،٢٧/١.

(٩) سورة الشمس:٩: ١٠.

(١٠) معجم ألفاظ القرآن الكريم،٦١٢/١.

(١١) معجم ألفاظ القرآن الكريم،٥٨٨/١،المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،٣٥٦.

(١٢) سورة الشعراء:٨٩.

(١٣) بصائر ذوي التمييز٤١٣/٢.

(١٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،٢٥٢/١٦.

الماوردي: قوله تعالى: {بِقَلْبٍ سليم } فيه خمسة أوجه: أحدها: سليم من الشك ، الثاني: سليم من الشرك ، الثالث: من المعاصي ، لأنه إذا سلم القلب سلمت الجوارح. الرابع: أنه الخالص ، الخامس: أنه الناصح في خلقه ، ويحتمل سادساً: سليم القلب من الخوف في القيامة لما تقدم من البشرى عند المعاينة[١٥].

السمعاني: قَالَ أَكثر أهل الْعلم: سليم من الشّرك، فَإِن الْآدَمِيّ لَا يَخْلُو من ذَنْب، وَقيل: مخلص، وَقيل: نَاصح، وَقيل: قلب فِيهِ لَا إِلَه إِلَّا الله[١٦].

ابن عباس: خَالص من الذَّنب وَحب الدُّنْيَا وَيُقَال سليم من بغض أَصْحَاب النبي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم[١٧] ، قالوا: هو السليم مما سوى الله، أو مما سوى عبادة الله، أو مما سوى إرادة الله، أو مما سوى محبة الله، فالمعنى واحد [١٨].

بل لا ينفع إلا الموافاة بقلب سليم من مرض الكفر والنفاق والخصال المذمومة والملكات المشؤومة[١٩].

القلب السليم هو القلب الخالي من الوهم والشهوة والضلال [٢٠].

وإنما أضاف إلى القلب، لأن الجوارح تابعة للقلب، فتسلم بسلامته، وتفسد بفساده [٢١] .

فسلامة القلب هي التي تنفع الإنسان ،فلا فائدة من مال وبنين إن لم يكن هناك قلب سليم ،سليم من الشرك والشك والمعاصي والخالي من بغض أصحاب النبي وسليم من الكفر والنفاق ،فهذه التفاسير للفظ سليم تتكامل ولا تعارض بينها، لكن تفسير أن السليم الخالص من الذَّنب فَإِن الْآدَمِيّ لَا يَخْلُو من ذَنْب.

---

(١٥) تفسير الماوردي، ١٧٧/٤.

(١٦) تفسير السمعاني، ٥٥/٤. لطائف الإشارات تفسير القشيري، ١٥/٣.

(١٧) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ٣١٠/١.

(١٨) شرح رسالة العبودية لابن تيمية، ٧/١٠.

(١٩) تفسير القاسمي، ٤٦٣/٧.

(٢٠) زهرة التفاسير /٥٣٧١/١٠،الموسوعة القرآنية، ٤٣٧/١٠، تفسير الشعراوي، ١٠٦٠٣/١٧،أيسر التفاسير :اسعد حومد، ٢٩٠٣/١،المنتخب في تفسير القرآن، ٥٥٠/١،مختصر تفسير ابن كثير، ٦٥١/٢،التفسير المنير للزحيلي، ١٧٣/١٩...

(٢١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٢٤٨/٢٠،المختصر في تفسير القرآن، ٣٧١/١،تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل، ٣٢٧/٣..

قال تعالى:﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٢٢).

والجَيْئة والمجيء بمعنى الإتيان لكن المجيء أَعمّ؛ لأَنَّ الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصولُ، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول.

وقد يقال: جاءَ في الأَعيان والمعاني، وربّما يكون مجيئهُ بذاته وبأَمره، ولمن قصد مكاناً أَو عملاً أَو زماناً [٢٣].

{إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} أي مستسلم مفوض إلى ربه بكل حال راجع لسره[٢٤].

سليم عن جميع ما يمنعه من الإجابة لربه فيما دعاه، والصبر على ما امتحنه وابتلاه، واللَّه أعلم[٢٥].

أي: سليم من الشركة، لم يلعن شيئاً قط والناصح لله في خلقه.

وقيل: القلب السليم الذي يحب للناس ما يحبه لنفسه، قد سلم جميع الناس من غشه وظلمه وأسلم لله بقلبه ولسانه ولا يعدل به غيره[٢٦]، ولا آفة فيه. ويقال لديغ من المحبة. ويقال: سليم من محبة الأغيار. ويقال سليم من حظوظ نفسه وإرادته. ويقال: مستسلم لله في قضائه واختياره[٢٧]،وخَالص من كل عيب[٢٨].

{إذا} أي حين {جاء ربه} أي المحسن في تربيته {بقلب سليم } أي بالغ السلامة عن حب غيره، والمجيء مجاز عن الإخلاص الذي لا شائبة فيه كما أن الآتي إليك لا يكون شيء من بدنه عند غيرك[٢٩] .

وسالم عن جميع الميول الباطلة والآراء الفاسدة[٣٠].

([٢٢]) سورة الصافات: ٨٤.

([٢٣]) بصائر ذوي التمييز ٢/٤١٣.

([٢٤]) تفسير التستري ١/١٣١.

([٢٥]) تفسير الماتريدي ٨/٥٧٢.

([٢٦]) الهداية إلى بلوغ النهاية ٩/٦١٢٢،تفسير الماوردي ٥/٥٤، ٥٥،الوجيز للواحدي ١/٩١١،تفسير السمعاني ٤/٤٠٣،تفسير البغوي ٧/٤٤،تفسر الزمخشري= الكشاف ،٤/٤٨،إيجاز البيان عن معاني القرآن ٢/٧٠١،زاد المسير ٣/٥٤٤،تفسير الرازي ٢٦/٣٤١،تفسير العز بن عبدالسلام ٣/٥٨،تفسير القرطبي ١٥/٩١،تفسير البيضاوي ٥/١٣.

([٢٧]) لطائف الإشارات= تفسير القشيري ٣/٢٣٥،تفسير النسفي ٣/١٢٨،تفسير ابن كثير ٧/٢٤،

([٢٨]) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١/٣٧٧،

([٢٩]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/٢٥٢.

وسَلِيمٍ من آفات القلوب أو من العلائقِ الشَّاغلةِ عن التَّبتلِ إلى الله عزَّ وجلَّ [٣١]وأقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب، باق على الفطرة، سليم عن النقائص والآفات، محافظ على عهد التوحيد الفطريّ، منكر على من غيّر وبدّل[٣٢].

وَالْبَاءُ فِي بِقَلْبٍ سَلِيمٍ لِلْمُصَاحَبَةِ، أَيْ جَاءَ مَعَهُ قَلَبٌ صفته السَّلامَة فيؤول إِلَى مَعْنَى: إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِسَلَامَةِ قَلْبٍ، وَإِنَّمَا ذُكِرَ الْقَلْبُ ابْتِدَاءً ثُمَّ وُصِفَ بِ سَلِيمٍ لِمَا فِي ذِكْرِ الْقَلْبِ مِنْ إِحْضَارِ حَقِيقَةِ ذَلِكَ الْقَلْبِ النَّزِيهِ، وَلِذَلِكَ أُوثِرَ تَنْكِيرُ «قَلْبٍ» دُونَ تَعْرِيفٍ. وسَلِيمٍ: صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ السَّلَامَةِ وَهِيَ الْخَلَاصُ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَدْوَاءِ لِأَنَّهُ لَمَّا ذُكِرَ الْقَلْبُ ظَهَرَ أَنَّ السَّلَامَةَ سَلَامَتُهُ مِمَّا تُصَابُ بِهِ الْقُلُوبُ [٣٣].

وَقَدْ جَمَعَ قَوْلُهُ: بِقَلْبٍ سَلِيمٍ جَوَامِعَ كَمَالِ النَّفْسِ وَهِيَ مَصْدَرُ مَحَامِدِ الْأَعْمَالِ ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[٣٤].

فهذه قصةً إبراهيم الذي أقبل على طاعة ربه بقلب خالص من الشرك والشك. وقيل: من الغل، والغش، والحقد، والحسد يحب للناس ما يحب لنفسه، و خالص من جميع آفات القلوب، و سليم من العلائق .

السورتان التي ورد فيهما لفظ سليم مكية، وسلامة القلب تعددت معانيها وتنوعت لإظهار سعة السلامة وأهميتها.

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت لفظا واحدا ،تكرر في آيتين ،توزعت في الجدول على النحو الآتي:

([٣٠]) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية٢/٢١٧.

([٣١]) تفسير أبي السعود٧/١٩٧،روح البيان٧/٤٦٩،البحر المديد في تفسير الكتاب المجيد٤/٦٠٥،فتح القدير للشوكاني٤/٤٦٠،فتح البيان ١١/٤٠٠.

([٣٢]) تفسير القاسمي٨/٢١٥،تفسير المراغي٢٣/٦٨،تفسير السعدي١/٧٠٥، التفسير القرآني للقرآن١٢/٩٩٥.

([٣٣]) سورة الأحقاف:٣١.

([٣٤]) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ١/٢٨ (٥٢) ، ومسلم في كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/١٢١٩ (١٥٩٩)

المسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	سليم	٢	سورة الشعراء:٨٩. سورة الصافات:٨٤.

المبحث الثاني :القلب المنيب

المجموعة الدلالية: (ن و ب)

ألفاظ هذه المجموعة: أناب . أنابوا. أنبنا . أنيب . ينيب . أنيبوا . منيب . منيبا . منيبين.

وقد ذكر لفظ الإنابة في القرآن الكريم (١٨) مرة ،منها:(٥) مرات بصيغة الجمع :أنابوا مرة واحدة، أنبنا مرة واحدة ،أنيبوا مرة واحدة، منيبين مرتين .و(١٣) مرة بصيغة المفرد: أناب (٤) مرات، أنيب مرتين، وينيب مرتين، ومنيب (٤) مرات، ومنيبا مرة واحدة.

إنابة القلب وردت في القرآن في موضع واحد.

وأهل الإنابة هم أهل النظر والتذكر ومتوكلون على الله ،ويهديهم الله، ويخشون الرحمن بالغيب.

الإنابة لغة:

تدور مادّة (ن وب) حول الرّجوع. يقول ابن فارس «النّون والواو والباء كلمة واحدة تدلّ على اعتياد مكان ورجوع إليه»[٣٥] . تقول :أناب فلان إلى الشّيء، رجع إليه مرّة بعد أخرى، وإلى الله تاب ورجع»[٣٦] . وقال الرّاغب « الرّجوع إليه بالتّوبة وإخلاص العمل» [٣٧] .

أي راجعين إلى ما أمر به، غير خارجين عن شيء من أمره. أي توبوا إليه وارجعوا.

وقال الجوهريّ: «أناب إلى الله أي أقبل وتاب»[٣٨].

وقال ابن الأثير: يقال أناب ينيب إنابة، فهو منيب، إذا أقبل ورجع، وفي حديث الدّعاء: «وإليك أنيب»[٣٩].

الإنابة اصطلاحا:

([٣٥]) تهذيب اللغة١٥/٣٥٠، مقاييس اللغة (٥/ ٣٦٧) .

([٣٦]) المعجم الوسيط (٢/ ٩٦١)

([٣٧]) المفردات (نوب) (٥٠٨) .

([٣٨]) انظر: الصحاح، للجوهري (١/ ٢٢٩) ، والنهاية، لابن الأثير (٥/ ١٢٣) ، ولسان العرب، لابن منظور (١/ ٧٧٥) .

([٣٩]) النهاية، لابن الأثير (٥/ ١٢٣)

الإنابة: إخراج القلب من ظلمات الشّبهات. وقيل: الإنابة: الرّجوع من الكلّ إلى من له الكلّ.

وقيل: الإنابة: الرّجوع من الغفلة إلى الذّكر، ومن الوحشة إلى الأنس.

وقال الكفويّ: الإنابة: الرّجوع عن كلّ شيء إلى الله تعالى[٤٠] .

وقال ابن القيّم: الإنابة: الإسراع إلى مرضاة الله مع الرّجوع إليه في كلّ وقت، وإخلاص العمل له [٤١].

أنواع الإنابة:

الإنابة إنابتان: إنابة لربوبيّته. وهي إنابة المخلوقات كلّها. يشترك فيها المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر. قال الله تعالى: "وَإِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ "[٤٢]، فهذا عامّ في حقّ كلّ داع أصابه ضرّ. كما هو الواقع. وهذه «الإنابة» لا تستلزم الإسلام، بل تجامع الشّرك والكفر. كما قال تعالى في حقّ هؤلاء:" ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ* لِيَكْفُرُوا بِما آتَيْناهُمْ"[٤٣] ، فهذا حالهم بعد إنابتهم.

والإنابة الثّانية. إنابة أوليائه. وهي إنابة لإلهيّته إنابة عبوديّة ومحبّة، وهي تتضمّن أربعة أمور: محبّته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عمّا سواه. فلا يستحقّ اسم «المنيب» إلّا من اجتمعت فيه هذه الأربع. وتفسير السّلف لهذه اللّفظة يدور على ذلك[٤٤] .

(قال ابن القيّم– رحمه الله–: «الإنابة هي عكوف القلب على الله– عزّ وجلّ– كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبّته، وذكره بالإجلال والتّعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله، ومن لم يعكف قلبه على الله وحده، عكف على التّماثيل المتنوّعة، كما قال إمام الحنفاء لقومه[٤٥]: "ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ"[٤٦].

---

(٤٠) التعريفات (٣٩) ، والكليات للكفوي (٣٠٨) .

(٤١) نضرة النعيم٣/٥٤٠. مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٤٦٧) بتصرف.

(٤٢) سورة الروم:٣٣.

(٤٣) سورة الروم:٣٣، ٣٤.

(٤٤) نضرة النعيم،٣/٥٤١.

(٤٥) الفوائد لابن القيم،١٦٩.

(٤٦) سورة الأنبياء:٥٢

منزلة الإنابة(٤٧).

قال ابن القيّم: «من نزل في منزل التّوبة، وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام، فإذا استقرّت قدمه في منزل التّوبة نزل بعده في منزل الإنابة، وقد أمر الله تعالى بها في كتابه، وأثنى على خليله بها، فقال:" وَأَنِيبُوا إِلى رَبِّكُمْ "(٤٨) ،وقال:" إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ" (٤٩). .

وأخبر أنّ آياته إنّما يتبصّر بها ويتذكّر، أهل الإنابة. فقال: "أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها" إلى أن قال تَبْصِرَةً وَذِكْرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ(٥٠).

وقال تعالى: "هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَما يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ"(٥١) ،

كما أخبر تعالى أنّ ثوابه وجنّته لأهل الخشية والإنابة. فقال: "وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ* هذا ما تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ* ادْخُلُوها بِسَلامٍ "(٥٢).

وأخبر سبحانه أنّ البشرى منه، إنّما هي لأهل الإنابة فقال: "وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَأَنابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرى"(٥٣).

الإنابة صفة النبيين والمؤمنين:

قال تعالى:" إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ "(٥٤).

قال تعالى:" قالُوا يا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ما يَعْبُدُ آباؤُنا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوالِنا ما نَشؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَما أُرِيدُ أَنْ أُخالِفَكُمْ إِلى ما أَنْهاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) (٥٥).

---

(٤٧) نضرة النعيم،٣/٥٤١.

(٤٨) سورة الزمر:٥٤.

(٤٩) سورة هود:٧٥.

(٥٠) سورة ق:٦، ٧.

(٥١) سورة غافر:٣١.

(٥٢) سورة ق:٣١: ٣٤.

(٥٣) سورة الزمر:١٧.

(٥٤) سورةهود:٧٥.

(٥٥) سورة هود:٨٧، ٨٨.

الإنابة إلى الله في الضر وتركه في الرخاء ليس من دأب المؤمنين:

قال تعالى:" وَإِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣)[٥٦].

قال تعالى:" وَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ (٨)[٥٧].

والبشرى:ثمرة الإنابة والهداية أيضا:

قال تعالى:" وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ (٢٧)"[٥٨].

قال تعالى:" شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)"[٥٩].

قال تعالى:" وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها وَأَنابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرى فَبَشِّرْ عِبادِ (١٧)[٦٠].

. (أَنَابَ):

ورد لفظ أَنَابَ في القرآن الكريم أربع مرات :

قال تعالى:﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ (٦١).

الهُدَى: نقيض الضَّلَالَة. وَيُقَال: هُدِيَ فاهْتَدَى[٦٢].

---

(٥٦) .سورة الروم:٣٣

(٥٧) سورة الزمر:٨.

(٥٨) سورة الرعد:٢٦: ٢٧.

(٥٩) سورة الشورى:١٣.

(٦٠) سورة الزمر:١٧.

(٦١) سورة الرعد:٢٧.

أَيْ: يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ بِالْإِنَابَةِ. وَقِيلَ: يُرْشِدُ إِلَى دِينِهِ من رجع إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ[٦٣]. نزلت في مشركي مكة حين طلبوا من رسول الله صلّى الله عليه وسلم مثل آيات الأنبياء . قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ أي: يردُّه عن الهدى كما ردّكم بعد ما أنزل من الآيات وحرمكم الاستدلال بها، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ أي: رجع إلى الحق، وإنما يرجع إلى الحق من شاء اللهُ رجوعه، فكأنه قال: ويهدي من يشاء[٦٤].اعْلَمْ أَنَّ الْكُفَّارَ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا فَأْتِنَا بِآيَةٍ وَمُعْجِزَةٍ قَاهِرَةٍ ظَاهِرَةٍ مِثْلِ مُعْجِزَاتِ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

فَأَجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِقَوْلِهِ: قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ[٦٥]·وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ أقبل إلى الحق ورجَع عن العناد، وهو جواب يجري مجرى التعجب[٦٦]·من قولهم، وذلك لأن الآيات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام كانت أكثر من أن تصير مشتبه على العاقل فلما طلبوا بعدها آيات أخر كان في موضع التعجب والاستنكار، فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم {إِنَّ الله يُضِلُّ مَن يَشَآءُ} من كان على صنيعكم من التصميم على الكفر فلا سبيل إلى هدايتكم وإن نزلت كل آية: «ويَهْدِي» من كان على خلاف صنيعكم[٦٧].

لما طلبوا سائر الآيات والمعجزات فكأنه قال لهم: لا فائدة في ظهور الآيات والمعجزات، فإن الإضلال والهداية من الله تعالى فلو حصلت الآيات الكثيرة ولم تحصل الهداية من الله فإنه لم يحصل الانتفاع بها.

والضمير في «إليه» عائد على الله، أي: إلى دينه وشرعه. وقيل على الرسول صلوات الله وسلامه عليه. وقيل: على القرآن[٦٨].

---

(٦٢) تهذيب اللغة٦/٢٠١.

(٦٣) تفسيرالبغوي٣/٢٠،الوجيز للواحدي١/٥٧١،تفسير السمعاني٣/٩١،تفسير الزمخشري٢/٥٢٨،تفسير ابن عطية٣/٣١١.

(٦٤) زاد المسير في علم التفسير٢/٤٩٣.

(٦٥) تفسير الرازي ١٩/٣٩.

(٦٦) تفسير البيضاوي٣/١٨٧،تفسير النسفي٢/١٥٤.

(٦٧) اللباب في علوم الكتاب١١/٢٩٩.

(٦٨) السابق ١١/٣٠٠.

قال تعالى:﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (٦٩).

السَّبِيلُ الطَّرِيقُ وما وضَحَ منه يذكَّرُ ويُؤَنَّثُ وسَبِيلُ اللهِ طريقُ الهدى الذي دعَا إليه[٧٠] ،وهو الطّريق الذي فيه سهولة، وجمعه سُبُل[٧١].

الماوردي: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} قال يحيى بن سلام: من أقبل بقلبه مخلصاً وهو النبي صلى الله عليه السلام والمؤمنون. روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: حلفت أم سعد ألا تأكل ولا تشرب حتى يتحوّل سعد عن دينه فأبى عليها فلم تزل كذلك حتى غشى عليها ثم دعت الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية[٧٢].

ابن عطية: وقوله تعالى: "وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنابَ إِلَيَّ"، وصية لجميع العالم كأن المأمور الإنسان، وأَنابَ معناه، مال ورجع إلى الشيء، وهذه سبيل الأنبياء والصالحين[٧٣].صفوة التفاسير: {واتبع سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} أي واسلك طريق من رجع إلى الله بالتوحيد والطاعة والعمل الصالح[٧٤].

{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ} أي: دينَ {مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} أقبلَ على طاعتي، وهو النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه[٧٥].

قال تعالى:﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩﴾ (٧٦).

معنى خَرَّ سقط سقوطا يسمع منه خرير، والخَرِير يقال لصوت الماء والرّيح وغير ذلك ممّا يسقط من علوّ[٧٧].

---

(٦٩) سورة لقمان: ١٥.

(٧٠) المحكم والمحيط الأعظم٨/٥٠٦.

(٧١) المفردات في غريب القرآن١/٣٩٥.

(٧٢) تفسير الماوردي٤/٣٣٧،تفسير الطبري٢٠/١٣٩،الهداية إلى بلوغ النهاية٩/٥٧٢٥.

(٧٣) تفسير ابن عطية٤/٣٤٩،البحر المحيط ٨/٤١٤،تفسير ابن كثير٦/٣٣٧،اللباب،١٥/٤٤٦،الموسوعة القرآنية١٠/٥٢٧.

(٧٤) صفوة التفاسير٢/٤٥٢

(٧٥) فتح الرحمن في تفسير القرآن ٥/٣٠٧،حدائق الروح والريحان٢٢/٢٤٦.

(٧٦) سورة ص:٢٤.

قالَ أي داود لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ أي طلب نعجتك التي أنت أحوج إليها ليضمها إلى نِعاجِهِ أي مع استغنائه عن هذا الضم وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ أي الإخوان الأصدقاء المتخالطين في شؤونهم لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ أي بغي الأعداء. مع أن واجب حقهم النصفة على الأقل. إن لم يقوموا بفضيلة الإيثار إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أي فإنهم لا يبغون وَقَلِيلٌ ما هُمْ أي وهم قليل. و (ما) مزيدة للإبهام والتعجيب من قلتهم.

قال الشهاب: فيه مبالغة من وجوه: وصفهم بالقلة، وتنكير (قليل) وزيادة (ما) الإبهامية. والشيء إذا بولغ فيه كان مظنة للتعجب منه. فكأنه قيل: ما أقلهم[٧٨].

وَخَرَّ راكِعاً وَأَنابَ فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ أي ما استغفر منه وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى أي لقربا وَحُسْنَ مَآبٍ أي مرجعا حسنا وكرامة، في الآخرة[٧٩].

قال تعالى :﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٨٠).

جسد: الجَسَد كالجسم لكنه أخصّ، قال الخليل رحمه الله: لا يقال الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه، وأيضا فإنّ الجسد ما له لون[٨١].

السمرقندي: تأويل الآية والله أعلم: أن سليمان كان له ابن، فجاء ملك الموت يوماً زائراً لسليمان، فرآه ابنه فخافه، وتغيّر لونه، ومرض من هيبته، فأمر سليمان– عليه السلام– الريح بأن تحمل ابنه فوق السحاب ليزول ذلك عنه، فلما رفعته الريح فوق السحاب، ودنا أجله، فقبض ابنه، وألقي على كرسيه فذلك قوله: وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً يعني: ابنه الميت. قال: والدليل على ذلك أن الجسد في اللغة هو الميت الذي لا يأكل الطعام، والشراب، كالميت ونحوه.

وذكر أن سليمان جزع على ابنه، إذ لم يكن له إلا ابن واحد، فدخل عليه ملكان، فقال أحدهما: إن هذا مشى في زرعي فأفسده. فقال له سليمان: لم مشيت في زرعه؟ فقال: لأن هذا الرجل زرع في طريق الناس، ولم أجد مسلكاً غير ذلك. فقال سليمان للآخر: لم زرعت في طريق الناس، أما علمت أن الناس لا بد لهم من طريق يمشون فيه؟ فقال لسليمان: صدقت. لم ولدت

---

(٧٧) المفردات١/٢٧٧.

(٧٨) تفسير القاسمي٨/٢٤٧.

(٧٩) السابق٨: ٢٤٨.

(٨٠) سورة ص:٣٤.

(٨١) المفردات١/١٩٦.

على طريق الموت أما علمت أن ممر الخلق على الموت؟ ثم غابا عنه. فاستغفر سليمان فذلك قوله: ثُمَّ أَنابَ يعني: تاب ورجع إلى طاعة الله عز وجل[٨٢].

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة منهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فجيء به على كرسيه[٨٣].

فوضع في حجره فو الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون وأما ما يُروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود[٨٤].

.(أَنابُوا):

ورد لفظَ أَنابُوا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ (٨٥).

والطاغوتُ: الكاهن والشيطان، وكلُّ رأسٍ في الضلالة[٨٦].

الماوردي: قوله عز وجل: {والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها} فيه قولان: أحدهما: أن الطاغوت الشيطان ، الثاني: الأوثان ، وفيه وجهان: أحدهما: أنه اسم أعجمي مثل هاروت وماروت. الثاني: عربي مشتق من الطغيان. {وأنابوا إلى الله} فيه وجهان: أحدهما: أقبلوا إلى الله ، الثاني: استقاموا إلى الله ، ويحتمل ثالثاً: وأنابوا إلى الله من ذنوبهم {لهم البشرى} فيه وجهان: أحدهما: أنها الجنة ، الثاني: بشرى الملائكة للمؤمنين ، ويحتمل ثالثاً: أنها البشرى عند المعاينة بما يشاهده من ثواب عمله[٨٧].

ابن عادل الحنبلي: الذين اجتنبوا الطاغوت أي أعرضوا عن عبادة ما سوى الله وأنابوا أي رَجَعُوا بالكلية إلى الله وأقبلوا بالكلية على عبادة الله. ثم إنه تعالى وعد هؤلاء بأشياء:

أحدها: قوله: {لَهُمُ البشرى} وهذه البشرى تحصل عن القرب من الموت وعند الوضع في القبر، وعند الخروج من القبر، وعند الوقوف في عَرْصَة القيامة وعند ما يصير فريق في الجنة

---

(٨٢) تفسير السمرقندي،١٦٨/٣،تفسير الماوردي،٩٨/٥.

(٨٣) تفسير النسفي،١٥٥/٣.

(٨٤) السابق،١٥٦/٣.

(٨٥) سورة الزمر :١٧.

(٨٦) الصحاح تاج اللغة٢٤١٣/٦.

(٨٧) تفسير الماوردي،١٢٠/٥.

وفريق في السعير، ففي كل موضع من هذه المواضع تحصل البشارة بنوع من الخير، وهذا المُبَشَّر يحتمل أن يكون هم الملائكة عند الموت [٨٨].

.(أَنَبْنا):

ورد لفظ أَنَبْنا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿..... رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (٨٩).

وكل: التَّوْكِيلُ: أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك[٩٠].

الطنطاوي: أي: يا ربنا عليك وحدك فوضنا أمورنا، وإليك وحدك قبول توبتنا، وإليك لا إلى أحد سواك مرجعنا ومصيرنا[٩١].

رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا، وَإِلَيْكَ أَنَبْنا، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ تقديم ما حقه التأخير، وهو الجار والمجرور على ما بعده لإفادة الحصر .معنى تَوَكَّلْنا فوضنا أمرنا إليك. أَنَبْنا رجعنا وتبنا. الْمَصِيرُ المرجع والمآب[٩٢].

.(أُنِيبُ):

ورد لفظ أُنِيبُ في القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى:﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٩٣).

التَّوْكِيلُ: أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبا عنك[٩٤].

السمعاني: قَوْله تَعَالَى: {وَمَا اختلفتم فِيهِ من شَيْء فَحكمه إِلَى الله} اسْتدلَّ من منع الْقيَاس فِي الْحَوَادِث بِهَذِهِ الْآيَة، قَالَ: الحكم إِلَى الله لَا إِلَى رأى الرِّجَال، وَكَذَلِكَ كَانَ الْخَوَارِج يَقُولُونَ: لَا حكم إِلَّا لله، وأنكروا الْحكمَيْنِ، وَهَذَا الِاسْتِدْلَال فَاسد؛ لِأَن عندنَا من قَالَ بِالْقِيَاسِ وَالِاجْتِهَاد فَهُوَ رُجُوع إِلَى الله فِي حكمه، فَإِن أصُول المقايسات هِيَ: الْكتاب، وَالسّنة[٩٥].

---

(٨٨) اللباب في علوم الكتاب،١٦/٤٩٢.

(٨٩) سورة الممتحنة: ٤.

(٩٠) المفردات في غريب القرآن١/٨٨٢.

(٩١) التفسير الوسيط للطنطاوي،١٤/٣٣١،صفوة التفاسير،٣/٣٤٣.

(٩٢) صفوة التفاسير،٣/٣٤٣.

(٩٣) سورة الشورى: ١٠.

(٩٤)المفردات في غريب القرآن١/٨٨٢.

(٩٥) تفسير السمعاني٥/٦٥.

ابن عطية: المعنى: قل لهم يا محمد: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ أيها الناس من تكذيب وتصديق وإيمان وكفر وغير ذلك، فالحكم فيه والمجازاة عليه ليست إلي ولا بيدي، وإنما ذلك إِلَى اللَّهِ الذي صفاته ما ذكر من إحياء الموتى والقدرة على كل شيء، ثم قال: ذلكم الله ربي وعليه توكلي وإليه إنابتي(٩٦).

{أنيب } أي أرجع بالتوبة إذا قصرت في شيء من فروع شرعه وأرجع إلى كتابه إذا نابني أمر من الأمور، فأعرف منه حكمه فافعلوا أنتم كذلك، اجعلوه الحكم تفلحوا، ولا تعدلوا عنه في شيء من الأشياء تهلكوا(٩٧).

قال تعالى:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ (٩٨).

الوِفاقُ: المُوافقَةُ. والتَوافُقُ: الاتِّفاقُ والتظاهرُ(٩٩).

والتوفيق فعل مَا تتفق مَعَه الطَّاعَة وَإِذا لم تتفق مَعَه الطَّاعَة لم يسم تَوْفِيقًا(١٠٠).وَفَّقَهُ اللَّهُ تَوْفِيقًا سَدَّدَهُ وَوَفِقَ أَمْرَهُ يَفِقُ بِكَسْرَتَيْنِ مِنْ التَّوْفِيقِ (١٠١)

ابن عباس: {قَالَ يَا قوم أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ} يَقُول إِنِّي {على بَيِّنَةٍ من رَبِّي} على بَيَان نزل من رَبِّي {وَرَزَقَنِي مِنْهُ رزقا حسنا} أكرمني بِالنُّبُوَّةِ وَالْإِسْلَام وَأَعْطَانِي مَالا حَلَالا {وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَآ أَنْهَاكُمْ عَنْهُ} يَقُول مَا أُرِيد أَن أفعل مَا أنهاكم عَنهُ من البخس فِي الْكَيْل وَالْوَزْن {إِنْ أُرِيدُ} مَا أُرِيد {إِلاَّ الْإِصْلَاح} الْعدْل بِالْكَيْلِ وَالْوَزْن {مَا اسْتَطَعْت وَمَا توفيقي} بوفاء الْكَيْل وَالْوَزْن {إِلاَّ بِاللَّه} من الله {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} فوضت أَمْرِي إِلَيْهِ {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} أقبل(١٠٢).

أبو السعود: {وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} أي أرجِعُ فيما أنا بصدده ويجوز أن يكون المرادُ وما كوني موفقاً لإصابة الحقِّ والصوابِ في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونتِه عليه توكلتُ وهو إشارةٌ إلى محض

---

(٩٦) تفسير ابن عطية ٢٨/٥،تفسير القرطبي ١٦/٧،تفسير البيضاوي ٧٧/٥.

(٩٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٥٦/١٧.

(٩٨) سورة هود:٨٨.

(٩٩) الصحاح تاج اللغة١٥٦٧/٤.

(١٠٠) الفروق اللغوية٢١٧/١.

(١٠١) المصباح المنير٦٦٧/٢.

(١٠٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس،١٩٠/١.الجلالين،١٢٩٨.

التوحيدِ الذاتي والفعليِّ وإليه أنيب أي عليه أقبل في مجامع أموري وإيثارُ صيغةِ الاستقبالِ على الماضي الأنسبِ للتقرر والتحقّقِ كما في التوكل لاستحضارِ الصورةِ والدلالةِ على الاستمرار [١٠٣].

. (يُنِيبُ):

ورد لفظ يُنِيبُ في القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ (١٠٤).

السمعاني: قَوْله تَعَالَى: {هُوَ الَّذِي يريكم آيَاته} أَي: عبره ودلائله.

وَقَوله: {وَينزل لكم من السَّمَاء رزقا} أَي: الْمَطَر؛ لِأَنَّهُ سَبَب الأرزاق.

وَقَوله: {وَمَا يتَذَكَّر إِلَّا من ينيب} أَي: وَمَا يتعظ إِلَّا من يرجع إِلَى الله فِي جَمِيع أُمُوره[١٠٥].

ابن كثير: {وَمَا يَتَذَكَّرُ} أَيْ: يَعْتَبِرُ وَيَتَفَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَيَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى عَظَمَةِ خَالِقِهَا {إِلا مَنْ يُنِيبُ} أَيْ: مَنْ هُوَ بَصِيرٌ مُنِيبٌ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ[١٠٦].

القشيري: «وَما يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ» : يرجع من العادة إلى العبادة، ومن الشّكّ إلى اليقين، ومن الخلق إلى الحقّ، ومن الجهل إلى العلم، ومن النّكرة إلى العرفان[١٠٧].

قال تعالى:﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١٠٨).

يَقُولُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} ، فَذَكَرَ أَوَّلَ الرُّسُلِ بَعْدَ آدَمَ وَهُوَ نُوحٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخِرَهُمْ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ وَهُمْ: إِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ[١٠٩].

---

(١٠٣) تفسير أبي السعود٤/٢٣٤.

(١٠٤) سورة غافر:١٣.

(١٠٥) تفسير السمعاني ١٠/٥،تفسير البغوي١٠٨/٤.

(١٠٦) تفسير ابن كثير١٣٤/٧.

(١٠٧) تفسير القشيري ٢٩٩/٣.

(١٠٨) سورة الشورى:١٣.

(١٠٩) تفسير ابن كثير١٩٤/٧.

وفي {شَرَعَ لَكُم} أربعة أوجه: أحدها: سن لكم. الثاني: بيَّن لكم. الثالث: اختار لكم ، الرابع: أوجب عليكم. {مِنَ الدِّينِ} يعني الدين. وفي {مَا وَصَّى بِهِ نوحاً} وجهان: أحدهما: تحريم الأمهات والبنات والأخوات، لأنه أول نبي أتى أمته بتحريم. ذلك[١١٠].

الثاني: تحليل الحلال وتحريم الحرام ، {وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ} فيه وجهان: أحدهما: اعملوا به ، الثاني: ادعوا إليه دين الله في طاعته وتوحيده واحد. ويحتمل وجهاً ثالثاً: جاهدوا عليه من عانده. {وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ} وفيه وجهان: أحدهما: لا تتعادوا عليه ، وكونوا عليه إخواناً ، الثانية: لا تختلفوا فيه فإن كل نبي مصدق لمن قبله ، {كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} من شهادة أن لا إله إلا الله. ويحتمل أن يكون من الاعتراف بنبوته ، لأنه عليهم أشد وهم منه أنفر. {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ} الآية. فيه وجهان: أحدهما: يجتبي إليه من يشاء هو من يولد على الإسلام. {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} هو من يسلم من الشرك ، الثاني: يستخلص إليه من يشاء. ويهدي إليه من يقبل على طاعته [١١١].

.(أَنِيبُوا):

ورد لفظ أَنِيبُوا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى :﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٢).

السمعاني: قَوْله تَعَالَى {وأنيبوا إِلَى ربكُم} مَعْنَاهُ: وَارْجِعُوا إِلَى ربكُم، وَقَوله: {وَأَسْلمُوا لَهُ} أَي: وَأَخْلصُوا لَهُ، وَيُقَال: واستسلموا لَهُ، وَقَوله: {من قبل أَن يأتيكم الْعَذَاب ثمَّ لَا تنْصرُونَ} أَي: لَا تمْنَعُونَ[١١٣].

ابن عباس:{وأنيبوا إِلَى رَبِّكُمْ} أَقبلُوا إِلَى ربكُم بِالتَّوْبَةِ من الْكفْر {وَأَسْلِمُواْ لَهُ} آمنُوا بِاللَّه واطيعوا الله {مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَاب ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ} لَا تمْنَعُونَ من عَذَاب الله نزلت هَذِه الْآيَة فِي وَحشِي وَأَصْحَابه[١١٤].

([١١٠]) تفسير الماوردي ١٩٦/٥.

([١١١]) السابق/١٩٧،تفسير البغوي١٢٨/٧،اللباب في علوم الكتاب٥٣١/١٦..

([١١٢]) سورة الزمر:٥٤.

([١١٣]) تفسير السمعاني٤٧٦/٤.

([١١٤]) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس٣٩٠/١.

{وأنيبوا} أي ارجعوا بكلياتكم ووكلوا حوائجكم وأسندوا أموركم واجعلوا طريقكم {إلى} ولفت الكلام إلى صفة الإحسان زيادة في الاستعطاف فقال: {ربكم} أي الذي لم تروا إحساناً إلا وهو منه [١١٥].

.(مُنِيبٌ):

ورد لفظ مُنِيبٌ في القرآن الكريم أربع مرات:

قال تعالى:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (١١٦).

وهي صفات ثلاث من مكارم الأخلاق، ولكن المجرمين من قوم لوط فجروا فارتكبوا فاحشة لم يسبقهم بها أحد من العالمين.

الصفة الأولى: لإبراهيم عليه السلام: الحلم فهو لَا يتعجل العقاب بل يريد للمجرم فرصة للانخلاع من ذنوبه فهو يؤثر السماحة على العقاب.

الصفة الثانية: أنه مرهف الإحساس كثير التأوه من الشعور بالخطأ، وإن لم تكن خطيئة ولا ذنب، ومعاذ اللَّه أن يكون خليل اللَّه تعالى أثيما، وإنما هي قوة الإحساس والخشوع في جنب اللَّه تعالى.

الصفة الثالثة: أنه منيب أي راجع إلى اللَّه تعالى فهو لَا يفترق عن ربه إلا في محبة مُدْنية مقربة.

وإن اللَّه تعالى يأمره بالإعراض عن الدفاع عنهم فلا يصح أن يجادل عن المجرمين ويناديه اللَّه نداء الخليل[١١٧].

والحليم: هو الصبور على الأذى، الصفوح عن الجناية، المقابل لها بالإحسان.

والأواه: هو الذي يكثر التأوه من خشية الله.

قال الآلوسي: وأصل التأوه قوله: آه ونحوه مما يقوله المتوجع الحزين. وهو عند جماعة كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما عن عبد الله بن شداد قال رجل: يا رسول الله ما الأواه؟ قال: «الخاشع المتضرع الكثير الدعاء» .

والمنيب: السريع الرجوع إلى الله– تعالى– بالتوبة والاستغفار.

([١١٥]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١٦/٥٣٦.

([١١٦]) سورة هود :٧٥.

([١١٧]) زهرة التفاسير٧/٣٧٣٣،أوضح التفاسير١/٢٧٣.

أي أن إبراهيم لصبور على الأذى، صفوح عن الجناية، كثير التضرع إلى الله، سريع الرجوع إليه في كل ما يحبه ويرضاه. ولكن حلم إبراهيم وإنابته ... لم يرد قضاء الله العادل في شأن قوم لوط [118].

قال تعالى:﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ **(١١٩)**.

ذكرهم بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته، وفيه تنبيه لهم إلى ما يحتمل أن يقع لهم من القوارع التي تهلكهم، وتهديد على ما اجترحوا من السيئات،

فهذه الآية اشتملت على أمرين:

أحدهما: أن هذا الخلق الذي خلقه الله تعالى من السماء والأرض يدل على كمال القدرة على ما هو دونه من البعث، كما في قوله: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}[120].

والأمر الآخر: التهديد لهم، بأن من خلق السماء والأرض على هذه الهيئة التي قد أحاطت بجميع المخلوقات فيهما .. قادرٌ على تعجيل العذاب لهم.

ومن المعلوم : أن ما بين يدي الإنسان هو كل ما يقع نظره عليه من غير أن يحوِّل وجهه إليه، وما خلفه هو كل ما لا يقع نظره عليه، حتى يحوِّل وجهه إليه، فيعم الجهات كلها[121]**.ففي الكون من الآيات الدالة على قدرة الله براهين يدركها كل من حسنت نيته فأناب إلى الله واعترف بالعبودية له**[122]**.لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ راجع الى ربه مطيع له**[123].

قال تعالى:﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ **(١٢٤)**.

الطبري: وقوله (تَبْصِرَةً) يقول: فعلنا ذلك تبصرة لكم أيها الناس نبصركم بها قدرة ربكم على ما يشاء، (وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول: وتذكيرا من الله عظمته وسلطانه، وتنبيها على وحدانيته (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) يقول: لكل عبد رجع إلى الإيمان بالله، والعمل بطاعته[125].

---

(118) التفسير الوسيط للطنطاوي٧/٢٤٣.

(119) سورة سبأ:٩.

(١٢٠) سورة يس:٨١.

(121) تفسير حدائق الروح والريحان٢٣/١٩٥.

(122) التفسير الحديث٤/٢٦٨.

(123) الموسوعة القرآنية١١/٧.

(124) سورة ق:٨.

الماوردي: {وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن المنيب المخلص ، الثاني: أنه التائب إلى ربه ، الثالث: أنه الراجع المتذكر ،. وقد عم الله بهذه التبصرة والذكرى وإن خص بالخطاب كل عبد منيب لانتفاعه بها واهتدائه إليها[١٢٦].

التستري: منيب :أي مخلص القلب لله بالتوحيد إليه، وإدامة ذكره بواجباته[١٢٧].

قال تعالى:﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ (١٢٨).

قوله عز وجل: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} فيه وجهان: أحدهما: أنه الذي يحفظ نفسه من الذنوب في السر كما يحفظها في الجهر. الثاني: أنه التائب في السر من ذنوبه إذا ذكرها ، كما فعلها سراً. ويحتمل ثالثاً: أنه الذي يستتر بطاعته لئلا يداخلها في الظاهر رياء. ووجدت فيه لبعض المتكلمين. رابعاً: أنه الذي أطاع الله بالأدلة ولم يره. {وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه المنيب المخلص ، الثاني: أنه المقبل على الله ، الثالث: أنه التائب [١٢٩].

وَقَوله: {وَجَاء بقلب منيب} وَالرجل هُوَ الْمُنِيب؛ لكنه أضَاف إِلَى الْقلب؛ لِأَن الْأَكْثَر من أَعمال الْإِيمَان يعمله الْمُؤمن بِقَلْبِه[١٣٠].

معنى الآية من خاف الرحمن فأطاعه بالغيب، ولم يره. وقال الضّحاك والسّدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب.

{وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} هذه صفة مدح، لأن شأن الخائف أن يَهْرب، فأما المتقي فجاء ربه لعلمه أنه لا ينجي الفِرار منه[١٣١].

وقوله: «مُنِيبٍ» أي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى. والباء في «بِقَلْبٍ» إما للتعدية، وإما للمُصَاحَبة، وإما للسببية[١٣٢].

.(مُنِيبًا):

([١٢٥]) تفسير الطبري٢٢/٣٣٣،تفسير السمرقندي٣/٣٣٣،الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/٧٠٣٢.

([١٢٦]) تفسير الماوردي٥/٣٤٢.

([١٢٧]) تفسير التستري ١/١٥١.

([١٢٨]) سورة ق:٣٣.

([١٢٩]) تفسير الماوردي٥/٣٥٤، لطائف الإشارات٣/٤٥٤،الوجيز للواحدي١/١٠٢٤.

([١٣٠]) تفسير السمعاني٥/٢٤٦.

([١٣١])اللباب١٨/٤١،تنوير المقباس١/٤٤٠،تفسير المراغي٢٦/١٦٦،تفسير السعدي١/٨٠٦،التفسير القرآني للقرآن١٣/٤٨٨.

(١٣٢) اللباب ١٨/٤١.

ورد لفظ مُنِيبًا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ (١٣٣).

مس: وَفِي حَدِيثِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَلَمْ يَجِدْ مَسّاً مِنَ النَّصَب» هُوَ أوّلُ مَا يُحَسُّ بِهِ مِنَ التَّعَب(١٣٤).

وَقيل أصل التخويل الإرعاء يُقَال أخوله إبله إذا استرعاه إيَّاهَا فَكثر حَتَّى جعل كل هبة وعطية تخويلا كَأَنَّهُ جعل لَهُ من ذَلِك مَا يرعاه(١٣٥).

الماوردي: قوله عز وجل: {وإذا مس الإنسان ضُرٌّ دعا ربَّهُ منيباً إليه} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: مخلصاً إليه ، الثاني: مستغيثاً به ، الثالث: مقبلاً عليه ، {ثم إذا خوّله منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل} فيه وجهان: أحدهما: إذا أصابته نعمة ترك الدعاء ، الثاني: إذا أصابته عافية نَسي الضر. والتخويل العطية العظيمة من هبة أو منحة(١٣٦).

النسفي: {وَإِذَا مَسَّ الإنسان} هو أبو جهل أو كل كافر (١٣٧) ، وقيل إنها نزلت في عتبة بن ربيعة.

وقال مقاتل: نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وقيل هي عامة في كل كافر(١٣٨).

وفي الآية تلقين مستمر المدى في صدد من لا يذكر الله إلّا في وقت الشدة وينساه وينحرف عن جادة الحق والتقوى في وقت الرخاء وما في ذلك من قبح وبشاعة وإثم عند الله(١٣٩).

قوله عز وجل:{ثم إذا خوّله منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل} فيه وجهان: أحدهما: إذا أصابته نعمة ترك الدعاء ، الثاني: إذا أصابته عافية نَسي الضر ،الوجه الأول صحيح ولا أرجح الوجه الثاني لأن بعيد.

---

(١٣٣) سورة الزمر:٨.

(١٣٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٢٩/٤.

(١٣٥) الفروق اللغوية للعسكري١٧٦/١.

(١٣٦) تفسير الماوردي١١٦/٥، تفسير القرطبي ٢٣٨/١٥،تفسير البيضاوي٣٨/٥،تفسير النسفي١٧١/٣..

(١٣٧) تفسير النسفي١٧١/٣،تفسير الشعراوي٨٢/١١.

(١٣٨)التفسير الحديث ٣٠٤/٤.

(١٣٩) التفسير الحديث ٣٠٤/٤.

.(مُنِيبِينَ):

ورد لفظ مُنِيبِينَ في القرآن الكريم مرتين:

قال تعالى:﴿۞مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (١٤٠).

(منيبين) أي: راجعين (إليه) بالتوبة والإخلاص، ومطيعين له في أوامره ونواهيه. قال الجوهري: أناب إليّ أي: أقبل وتاب. ثم أمرهم سبحانه بالتقوى بعد أمرهم بالإنابة فقال (واتقوه) أي: خافوه باجتناب معاصيه. (وأقيموا الصلاة) التي أمرتم بها (ولا تكونوا من المشركين) بالله أي ممن يشرك به غيره في العبادة وقوله[١٤١].

{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ} وهذا تفسير لإقامة الوجه للدين، فإن الإنابة إنابة القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى.

ويلزم من ذلك حمل البدن بمقتضى ما في القلب فشمل ذلك العبادات الظاهرة والباطنة، ولا يتم ذلك إلا بترك المعاصي الظاهرة والباطنة فلذلك قال: {وَاتَّقُوهُ} فهذا يشمل فعل المأمورات وترك المنهيات.

وخص من المأمورات الصلاة لكونها تدعو إلى الإنابة والتقوى لقوله تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}[١٤٢]**، فهذا إعانتها على التقوى**[١٤٣].

وفي الآيتين التاليتين أمر للنبي والمسلمين معا بأن يجعلوا إنابتهم إلى الله وحده وأن يتقوه بصالح الأعمال ويواظبوا على إقامة الصلاة له ولا يكونوا من المشركين الذين انقسموا شيعا وأهواء في أمر الدين وكل منهم فرح بما هو عليه.

والآيات متصلة بسابقاتها اتصالا تعقيبيا يتضمن إيضاح ما يجب على النبي والمؤمنين تجاه ما عليه الكفار والمشركون من باطل وضلال وأهواء منحرفة عن الحق.

والآية الثانية تفيد كما هو المتبادر أن الأمر الموجه إلى النبي في الآية الأولى هو شامل للمسلمين أيضا[١٤٤].

---

(١٤٠) سورة الروم: ٣١.

(١٤١) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠/٢٤٨، ٢٤٩.

(١٤٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

(١٤٣) تفسير السعدي ١/٦٤٠،أوضح التفاسير ١/٤٩٥.

(١٤٤) التفسير الحديث ٥/٤٤٨،تفسير الشعراوي ١٨/١١٤٢١.

"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) "[١٤٥].

قال تعالى:﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١٤٦).

والمسّ يقال فيما يكون معه إدراك بحاسّة اللّمس، والمسّ يقال في كلّ ما ينال الإنسان من أذى[١٤٧].

{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ} شدة، وفقر، ومرض {دَعَوْاْ رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ} راجعين إلى طاعته {ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً} سعة، ورخاء، وصحة {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} أي يشركون غيره معه في العبادة: يخلقهم فيعبدون غيره، ويرزقهم فيشكرون سواه وللشرك مظاهر شتى لا حصر لها فليس مقصوراً على عبادة غير الله فحسب [١٤٨].

(وَإِذا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) كلام مستأنف مسوق لتصوير طبائع الناس المتقلبة وترجحهم بين الرجاء والقنوط، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط [١٤٩].

في هذه الآيات الكريمة صورةٌ للنفس البشرية وتقلُّب الأهواء في السّراء والضراء وعند قبْضِ الرزق وبسطِه. فبعد أن أرشد الله سبحانه الى التوحيد، وأقام الادلة عليه، وضرب المثل له – أعقبه هنا بذِكر حال للمشركين يُعرفون بها، وهي أنهم حين الشدة يتضرعون الى ربهم وينيبون اليه، فإذا خَلَصوا منها رجعوا الى كفرهم واوثانهم. لذلك خاطبهم الله بصورة الأمر مع التهديد بقوله: {لِيَكْفُرُواْ بِمَآ آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [١٥٠].

قال القرطبي: وفي أصل الإنابة قولان: أحدهما: أنه القطع. ومنه أخذ اسم الناب لأنه قاطع، فكأن الإنابة هي الانقطاع إلى الله– عز وجل– بالطاعة. والثاني: أن أصله الرجوع، مأخوذ من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد أخرى، ومنه النوبة لأنها الرجوع إلى عادة [١٥١] .

---

(١٤٥) سورة الروم٣٠، ٣٢.

(١٤٦) سورة الروم:٣٣.

(١٤٧) المفردات في غريب القرآن١/٧٦٧.

(١٤٨) أوضح التفاسير١/٤٩٥،التفسير الحديث٥/٤٥٠،الموسوعة القرآنية١٠/٥١٨.

(١٤٩) إعراب القرآن وبيانه٧/٥٠٣.

(١٥٠) تيسير التفسير للقطان٣/٨٢.

(١٥١) التفسير الوسيط للطنطاوي١١/٨٥،أيسر التفاسير للجزائري٤/١٧٩،حدائق الروح والريحان٢٢/١٤٤.

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت تسعة ألفاظ، تكررت في ثمانية عشر آية ،توزعت في الجدول على النحو الآتي: ومعظم السور التي ورد فيها لفظ الإنابة مكية ماعدا سورتي الرعد والممتحنة.

المسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	أناب	٤	سورة الرعد:٢٧،لقمان:١٥،ص:٢٤، ٣٤.
٢	أنابوا	١	سورة الزمر:١٧.
٣	أنبنا	١	سورة الممتحنة:٤.
٤	أنيب	٢	سورة هود:٨٨، الشورى:١٠.
٥	ينيب	٢	سورة غافر:١٣،الشورى:١٣.
٦	أنيبوا	١	سورة الزمر:٥٤.
٧	منيب	٤	سورة هود:٧٥، سبأ:٩،ق: ٨، ٣٣.
٨	منيبا	١	سورة الزمر:٨.
٩	منيبين	٢	سورة الروم:٣١، ٣٣.

المبحث الثالث :القلب المخبت

المجموعة الدلالية الأولى: (خ ب ت)

ألفاظ هذه المجموعة: أخبتوا . فتخبت . المخبتين.

ورد لفظ مخبت في القرآن الكريم ثلاث مرات ،وهي: أخبتوا مرة واحدة ،فتخبت مرة واحدة، المخبتين مرة واحدة.

المخبتون هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، والصابرين على ما أصابهم ،ومقيمي الصلاة ،وينفقوا مما رزقهم الله.

وورد لفظ مخبت بمعنى:

أخبتوا إلى الله: أي: خشعوا وأخلصوا واطمأنوا بإيمانهم[١٥٢].

أخبتوا يعني أخلصوا كما في قوله تعالى:" وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ"[١٥٣].وقوله تعالى:" وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)"[١٥٤].

والإخبات القبول: كما في قوله تعالى:" وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ"[١٥٥].يعني فتقبل له صدورهم[١٥٦].

الْفرق بَين الخضوع والإخبات:

أَن المخبت هُوَ المطمئن بِالْإِيمَان وَقيل هُوَ الْمُجْتَهد بِالْعبَادَة، وَقيل الملازم للطاعة ،والسكون وَهُوَ من أَسمَاء الممدوح مثل الْمُؤمن والمتقي وَلَيْسَ كَذَلِك الخضوع لِأَنَّهُ يكون مدحا وذما وأصل الإخبات أَن يصير إِلَى خبت تَقول أخبت إِذا صَار إِلَى خبت وَهُوَ الأَرْض المستوية الواسعة كَمَا تَقول أنجد إِذا صَار إِلَى نجد فالإخبات على مَا يُوجِبهُ الِاشْتِقَاق هُوَ الخضوع المستمر على اسْتِوَاء[١٥٧].

خبت لغة:

([١٥٢]) معجم ألفاظ القرآن الكريم١/٣٣٨،مفردات ألفاظ القرآن٢٧١..

([١٥٣]) سورة هود:٢٣.

([١٥٤]) سورة الحج:٣٤.

([١٥٥]) سورة الحج:٥٤.

([١٥٦]) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ١٥٣.

([١٥٧]) الفروق اللغوية ١/٢٥٠.

خبت: الخَبْتُ: ما اتسع من بطون الأرض، وجمعه خُبُوت. والمُخْبِتُ: الخاشع المتضرع، يخبت إلى الله ويخبت قلبه لله[١٥٨].

[خبت]وأخبت الرجل إخباتا فَهُوَ مخبت وَهُوَ المتأله المتوقي للمآثم. وَجمع خبت: خبوت وأخبات[١٥٩].

(خَبَتَ) الْخَاءُ وَالْبَاءُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خُشُوعٍ: يُقَالُ أَخْبَتَ يُخْبِتُ إِخْبَاتًا، إِذَا خَشَعَ [١٦٠].

خبت اصطلاحا:

" خبت " أي: سكنت: يقال: خبت، إذا سكن لهبها تخبو، فإذا سكن لهبها ولم يطفأ الجمر، قلت: خمدت تخمد خمودًا، فإذا طفئت، ولم يبق منها شيء، قيل: همدت تهمد همودًا[١٦١].

والإِخْبَاتُ: الاطمئنان والتذلُّل، والتَّواضع، والخضوع، وأصله من الخَبْتِ وهو المكانُ المطمئنُّ، أي المنخفضُ من الأرض، وأخْبَتَ الرَّجلُ: دخل في مكانٍ خبت[١٦٢].

.(أَخْبَتُوا):

ورد لفظ أَخْبَتُوا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (١٦٣).

ابْنُ عَبَّاسٍ: أَخْبَتُوا أَنَابُوا. مُجَاهِدٌ: أَطَاعُوا. قَتَادَةُ: خَشَعُوا وَخَضَعُوا. مُقَاتِلٌ: أَخْلَصُوا. الْحَسَنُ: الْإِخْبَاتُ الْخُشُوعُ لِلْمَخَافَةِ الثَّابِتَةِ فِي الْقَلْبِ، وَأَصْلُ الْإِخْبَاتِ الِاسْتِوَاءُ [١٦٤].

الماوردي :قوله تعالى:" وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ " أي خشعت قلوبهم إلى ربهم، وهو الخشية، فالخشوع ظاهر والخشية سر .

([١٥٨]) العين ٢٤١/٤،تهذب اللغة ١٣٦/٧،الصحاح تاج اللغة٢٤٧/١،مجمل اللغة٣١٠/١.

([١٥٩]) جمهرة اللغة ٢٥٢/١.

([١٦٠]) مقاييس اللغة٢٣٨/٢،الفروق اللغوية٢٥٠/١،المحكم والمحيط الأعظم ٣٠٩/٥،المخصص١٧١/٣.

([١٦١]) تفسير الماتريدي ١١٨/٧،البحر المحيط٩٦/٧،الكليات٤٣٧/١.

([١٦٢]) اللباب في علوم الكتاب٤٦٢/١٠،تفسير ابن رجب الحنبلي٦٣٩/١،تنوير المقباس٢٤٢/١،الفروق اللغوية للعسكري٢٥٠/١.

([١٦٣]) سورة هود:٢٣.

([١٦٤]) تفسير القرطبي٢١/٩،أوضح التفاسير٢٦٥/١.

قوله عز وجل: {وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ} فيه خمسة تأويلات: أحدها: يعني خافوا ربهم ، الثاني: يعني اطمأنوا ، الثالث: أنابوا ، الرابع: خشعوا وتواضعوا لربهم ، الخامس: أخلصوا إلى ربهم ، [١٦٥].

الزمخشري :وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة[١٦٦].

الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه وهو يتعدى بالى وباللام فإذا قلت أخبت فلان إلى كذا فمعناه اطمأن اليه وإذا قلت أخبت له فمعناه خشع وخضع[١٦٧].

الشعراوي: وكلمة {وأخبتوا} أي: خضعوا خشية لله تعالى، فهم لا يؤدون فروض الإيمان لمجرد رغبتهم في ألاَّ يعاقبهم الله، لا بل يؤدون فروض الإيمان والعمل الصالح خشية لله[١٦٨].

تعددت معاني الإخبات من

إنابه،وطاعه،وخشوع،وخضوع،وإخلاص،والإستواء،والخوف،والطمأنينة،والتواضع، وأرى أنها تؤكد أهمية الإخبات وسعة معانيه.

.(فَتُخْبِتَ):

ورد لفظ فَتُخْبِتَ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٦٩).

ابن كثير وَقَوْلُهُ: {فَيُؤْمِنُوا بِهِ} أَيْ: يُصَدِّقُوهُ وَيَنْقَادُوا لَهُ، {فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ} أَيْ: تَخْضَعُ وَتَذِلُّ، {وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} أَيْ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ، وَيُوَفِّقُهُمْ لِمُخَالَفَةِ الْبَاطِلِ وَاجْتِنَابِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ يَهْدِيهِمْ [إِلَى] الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوصِلِ إِلَى دَرَجَاتِ الْجَنَّاتِ، وَيُزَحْزِحُهُمْ عَنِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالدَّرَكَاتِ[١٧٠].

فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ بالانقياد والخشية والإذعانِ لما فيه من الأوامرِ والنَّواهي [١٧١].

([١٦٥]) تفسير الماوردي٢/٤٦٥.

([١٦٦]) تفسير الزمخشري ٢/٣٨٧.

([١٦٧]) إعراب القرآن وبيانه٤/٣٣٣.

([١٦٨]) تفسير الشعراوي١٠/٦٤٢٠،الموسوعة القرآنية ١٠/٩٠.

([١٦٩]) سورةالحج:٥٤.

([١٧٠]) تفسير ابن كثير٥/٤٤٦.

([١٧١]) تفسير أبي السعود٦/١١٤،تفسير السعدي١/٥٤٢.

وقوله: (أَنَّهُ الْحَقُّ)، فيه قصر، لتعريف الطرفين أي أن القرآن الكريم هو الحق، فليس حديثا يفترى ولا أساطير الأولين، (فَيُؤْمِنُوا بِهِ)، ولذلك يؤمنون به و " الفاء " للسببية، أي بسبب علمهم يؤمنون به (فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ)، الإخبات: الخبت المطمئن من الأرض، وأخبت الرجل قصد الخبت أو نزله نحو أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع، والمعنى تواضعت قلوب المؤمنين، ولم تمار في الحق قلوبهم، بل أخبتت وسكنت إلى الحق[١٧٢].

. (الْمُخْبِتِينَ):

ورد لفظ الْمُخْبِتِينَ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ (١٧٣).

المراغي: المنسك (بكسر السين وفتحها) والنسك في الأصل: العبادة مطلقا، وشاع استعماله في أعمال الحج، والمراد به هنا الذبح وإراقة الدماء على وجه التقرب إليه تعالى، أسلموا: أي انقادوا له، المخبتين: أي المتواضعين الخاشعين، من أخبت الرجل: إذا سار في الخبت وهو المطمئن من الأرض، وجلت: أي خافت[١٧٤].

ابن كثير: يخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ لَمْ يَزَل ذبحُ الْمَنَاسِكِ وإراقةُ الدِّمَاءِ عَلَى اسْمِ اللَّهِ مَشْرُوعًا فِي جَمِيعِ الْمِلَلِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} قَالَ: عِيدًا.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: ذَبحًا. وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ فِي قَوْلِهِ: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا} ، إِنَّهَا مَكَّةُ، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأُمَّةٍ قَطُّ مَنْسَكًا غَيْرَهَا.

{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} : قَالَ مُجَاهِدٌ: الْمُطْمَئِنِّينَ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ: الْمُتَوَاضِعِينَ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: الْوَجِلِينَ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ : الْمُخْبِتُونَ : الَّذِينَ لَا يَظلمون، وَإِذَا ظُلموا لَمْ يَنْتَصِرُوا.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} قَالَ: الْمُطْمَئِنِّينَ الرَّاضِينَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، الْمُسْتَسْلِمِينَ له[١٧٥].

{وَبَشّرِ المخبتين} تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المُتواضعينَ أو المُخلِصين فإنَّ الإخباتَ من الوظائف الخاصَّةِ بهم[١٧٦].

---

(١٧٢) زهرة التفاسير٩/٥٠٠٨.

(١٧٣) سورة الحج:٣٤.

(١٧٤) تفسير المراغي ١٧/١١٣:١١١.

(١٧٥) تفسير ابن كثير٥/٤٢٤.

(١٧٦) تفسير أبي السعود٦/١٠٧.

صفات المخبتين [١٧٧]:

(١) (الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أي إنهم إذا ذكر الله عرتهم رهبة من خشيته، وخوف من عقابه.

(٢) (وَالصَّابِرِينَ عَلى ما أَصابَهُمْ) من النوائب والمحن في طاعة الله.

(٣) (وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ) أي والمؤدين حقه تعالى فيما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة في الأوقات التي حددها لهم.

(٤) (وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ) أي وينفقون بعض ما آتاهم الله من طيب الرزق في وجوه البر وعلى أهليهم وأقاربهم وعلى الخلق كافة

من فوائد (الإخبات)

(١) أوّل درجات الطّمأنينة والثّقة بالله وحسن الظّنّ به.

(٢) للمخبت البشرى من الله بالجنّة.

(٣) الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة.

(٤) الإخبات من الأحوال القلبيّة الموجبة للالتفات عمّا سوى الله.

(٥) الإخبات يورث صاحبه العزّة في الدّنيا والنّجاة في الآخرة.

(٦) الإخبات يقي من الفتنة.

(٧) بالإخبات ترتفع الهمّة وتعلو النّفس عن الرّغبة في المدح أو الخشية من الذّمّ.

(٨) بالإخبات يباشر القلب حلاوة الإيمان واليقين[١٧٨].

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت ثلاثة ألفاظ، تكررت في ثلاث آيات [179] ،توزعت في الجدول على النحو الآتي:

([١٧٧]) نضرة النعيم ١٢٣/٢.

([١٧٨]) نضرة النعيم ١٢٣/٢.

([١٧٩]) معجم ألفاظ القرآن الكريم٢٢٦/٢.

المسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	أخبتوا	١	سورة هود:٢٣.
٢	فتخبت	١	سورة الحج:٥٤.
٣	المخبتين	١	سورة الحج:٣٤.

المبحث الرابع: القلب الوجل

المجموعة الدلالية الأولى:(و ج ل)

ألفاظ هذه المجموعة: وجلت . توجل . وجلون . وجلة.

وقد ورد لفظ وجل في القرآن الكريم خمس مرات.

وجل لغة:

(و ج ل) : وَجِلَ وَجَلًا فَهُوَ وَجِلٌ وَالْأُنْثَى وَجِلَةٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ إذَا خَافَ وَجَاءَ فِي الذِّكْرِ أَوْجَلُ أَيْضًا وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ[١٨٠].الوجل: استشعار الخوف يقال وجل يولج وجلا[١٨١].

وجل اصطلاحا:

"وَجُل – ككرُم: كَبِر. وفي الحديث الشريف "وَعَظَنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – موعظة وَجِلَتْ منها القلوبْ "[١٨٢]. فسرت المعاجمُ الوَجَل بالفزع والخوف. وهما ضَعْف واضطراب {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ}[١٨٣] ، فهذا وَجَل خشية واستحضار جلال الله {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}[١٨٤]. فالوَجَل هنا من خشية أن يكون إيتاؤهم مشوبًا بما يبطله، وهم سيُرَدَّون إلى ربهم فيحاسبهم. وفي تفسير الأولى قال ابن عباس : إن المنافين لا يدخل قلوبَهم شيءٌ من ذكر الله عد أداء فرائضه ... "ثم لم يصرح بأن الوَجَل الفزعُ أو الفَرَقُ[١٨٥]. وفي قوله تعالى: {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا

---

(١٨٠) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير٢/٦٤٩.

(١٨١) مفردات ألفاظ القرآن٨٥٥.

(١٨٢) مسند البزاز= البحر الزخار١٠/١٣٧،المعجم الكبير للطبراني١٨/٢٤٨،مسند الشاميين للطبراني١/٤٤٦،المستدرك على الصحيحين للحاكم١/١٧٤،،الاعتقاد للبيهقي١/٢٢٩،السنن الكبرى للبيهقي١٠/١٩٥،شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد١/٩٦،جامع العلوم والحكم،ت الأرنؤوط٢/١٠٩،التيسير بشرح الجامع الصغير٢/١٩٣،تطريز رياض الصالحين١/٣٠٩،،التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثا النووية١/٦٤،شرح الأربعين النووية للعثيمين١/٢٧٤،شرح الأربعين النووية لعطية سالم٦١/٢،روضة المحدثين٧/٤٩٤،موسوعة الألباني في العقيدة١/٢٣٨.

(١٨٣) سورة الأنفال:٢.

(١٨٤) سورة المؤمنون:٦٠.

(١٨٥) المعجم الاشتقاقي المؤصل ١/٣٢٥،المحكم والمحيط الأعظم٧/٥٥٣،المخصص٣/٣٥٥،النهاية في غريب الحديث والأثر٥/١٥٧،التعريفات١/١٨٨،القاموس المحيط١/١٠٦٧، كشاف اصطلاحات الفنون والع

قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ}[١٨٦]. فالوَجَل هنا تَوَجُّس شَرّ وهو من الضعف كقوله {نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}[١٨٧].

الْفرق بَين الْخَوْف والوجل

أَن الْخَوْف خلاف الطُّمَأْنِينَة، وَيُقَال أَنا من هَذَا على وَجل وَمن ذَلِك على طمأنينة وَلَا يُقَال على خوف فِي هَذَا الْموضع وَفِي الْقُرْآن (الَّذين إِذا ذكر الله وجلت قُلُوبهم) أَي إِذا ذكرت عَظمَة الله وَقدرته لم تطمئِن قُلُوبهم إِلَى مَا قدموه من الطَّاعَة وظنوا أَنهم مقصرون فاضطربوا من ذَلِك وقلقوا فَلَيْسَ الوجل من الْخَوْف فِي شَيْء وَخَافَ مُتَعَدٍّ ووجل غير مُتَعَدٍّ وصيغتاهما مُخْتَلِفَتَانِ أَيْضا وَذَلِكَ يدل على فرق بَينهمَا فِي الْمَعْنى[١٨٨].

ولكن الخوف هو: توقع الضرر المشكوك في وقوعه، ومن يتيقن الضرر لم يكن خائفا[١٨٩].

ورد لفظ وجل في القرآن الكريم بمعنى: فزع، خاف، فرق. رق.

. (وَجِلَتْ):

ورد لفظ وَجِلَتْ في القرآن الكريم مرتين مقترنا بالقلب بمعنى :فزعت وخافت(١٩٠).

قال تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (١٩١).

قوله عز وجل: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} فيه وجهان: أحدهما: خافت. الثاني: رَقّتْ. {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيهِمْ ءَايَاتُهُ} يعني آيات القرآن بما تضمنته من أمر ونهي. {زَادَتْهُمْ إِيمَاناً} فيه وجهان: أحدهما: تصديقاً. الثاني: خشية. {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} يحتمل وجهين: أحدهما: فيما يخافونه من الشدة في الدنيا. الثاني: فيما يرجونه من ثواب أعمالهم في الآخرة[١٩٢].

([١٨٦]) سورة الحجر:٥٢، ٥٣.

([١٨٧]) سورة هود:٧٠.

([١٨٨]) الفروق اللغوية١/٢٢٧،٢٤٣،الكليات٩٤٩.

([١٨٩]) الفروق اللغوية ١/١٩٩.

([١٩٠]) المعجم المفهرس١١٦٤.

([١٩١]) سورة الأنفال:٢.

([١٩٢]) تفسير الماوردي ٢/٢٩٥.

وقوله هاهنا "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ" ظاهرها أنها للمبالغة والتأكيد فقط أي الكاملون، وَجِلَتْ معناه فزعت ورقت وخافت وبهذه المعاني فسرت العلماء، وقرأ ابن مسعود «فرقت» ، وقرأ أبي بن كعب «فزعت» [١٩٣].

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَيِ الْكَامِلُوا الْإِيمَانِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِمَوْصُولٍ وُصِلَ بِثَلَاثِ مَقَامَاتٍ عَظِيمَةٍ مَقَامِ الْخَوْفِ، وَمَقَامِ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَمَقَامِ التَّوَكُّلِ، وَيُحْتَمَلُ قَوْلُهُ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ إِنْ يُذْكَرِ اسْمُهُ وَيُلْفَظْ بِهِ تَفْزَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِهِ اسْتِعْظَامًا لَهُ وَتَهَيُّبًا وَإِجْلَالًا وَيَكُونُ هَذَا الذِّكْرُ مُخَالِفًا لِلذِّكْرِ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ لأنّ ذِكْرَ اللَّهِ هُنَاكَ رَأْفَتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَثَوَابُهُ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذُكِرَ اللَّهُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَيْ ذُكِرَتْ عَظَمَةُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ وَمَا خَوَّفَ بِهِ مَنْ عَصَاهُ قَالَهُ الزَّجَّاجُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ الرَّجُلُ يَهُمُّ بِالْمَعْصِيَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ فَيَفْزَعُ عَنْهَا[١٩٤].

قال تعالى:" ....وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤)الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)"(١٩٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) أَيْ خَافَتْ وَحَذِرَتْ مُخَالَفَتَهُ. فَوَصَفَهُمْ بِالْخَوْفِ وَالْوَجَلِ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَذَلِكَ لِقُوَّةِ يَقِينِهِمْ وَمُرَاعَاتِهِمْ لِرَبِّهِمْ، وَكَأَنَّهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَوَصَفَهُمْ بِالصَّبْرِ وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِدَامَتِهَا. وَرُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلُهُ:" وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ"[١٩٦] نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيٍّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ [١٩٧].

الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها. وَالصَّابِرِينَ عَلى مَا أَصابَهُمْ من الكلف والمصائب. وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ في أوقاتها، وقرئ «والمقيمين الصلاة» على الأصل. وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ في وجوه الخير[١٩٨].{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} : قَالَ مُجَاهِدٌ: الْمُطْمَئِنِّينَ، و الْمُتَوَاضِعِينَ ،و الْوَجِلِينَ ،و الَّذِينَ لَا يَظلمون، وَإِذَا ظُلموا لَمْ يَنْتَصِرُوا.

وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} قَالَ: الْمُطْمَئِنِّينَ الرَّاضِينَ بِقَضَاءِ اللَّهِ، الْمُسْتَسْلِمِينَ له. وَأَحْسَنُ مَا يُفَسَّرُ بِمَا بَعْدَهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} أَيْ: خَافَتْ مِنْهُ

([١٩٣]) تفسير ابن عطية٢/٥٠١.

([١٩٤]) البحر المحيط٥/٢٧١،٢٧٠.

([١٩٥]) سورة الحج :٣٥.

([١٩٦]) سورة الحج:٣٤.

([١٩٧]) تفسير القرطبي ١٢/٥٩.

([١٩٨]) تفسير البيضاوي٤/٧٢.

قلوبُهم، {وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ} أَيْ: مِنَ الْمَصَائِب. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: وَاللَّهِ لَتَصْبِرُنَّ أَوْ لَتَهْلِكُنَّ[١٩٩].

وَصَفَ سُبْحَانَهُ هَؤُلَاءِ الْمُخْبِتِينَ بِقَوْلِهِ: الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ أَيْ: خَافَتْ وَحَذِرَتْ مُخَالَفَتُهُ، وَحُصُولُ الْوَجَلِ مِنْهُمْ عِنْدَ الذِّكْرِ لَهُ سُبْحَانَهُ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ يَقِينِهِمْ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِالصَّبْرِ عَلى مَا أَصابَهُمْ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمِحَنِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِإِقَامَةِ الصَّلاةِ أَيِ: الْإِتْيَانِ بِهَا فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ[٢٠٠].

. (تَوْجَلْ):

ورد لفظ تَوْجَلْ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ﴾ (٢٠١).

{قَالُوا لَا تَوْجَلْ} أَيْ: لَا تَخَفْ، {وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ}[٢٠٢]. ابن كثير: وَهُوَ إِسْحَاقُ، عَلَيْهِ السلام[٢٠٣].

(قالوا) أي الملائكة (لا توجل) أي لا تخف، قاله عكرمة، وقرئ لا تأجل وتوجل من أوجله أي أخافه (إنا نبشرك بغلام عليم) مستأنفة لتعليل النهي عن الوجل لأن المبشر لا يخاف منه، والعليم كثير العلم، وقيل هو الحليم كما وقع في موضع آخر من القرآن [٢٠٤].

المراغي: (قالُوا لا تَوْجَلْ) أي قال الضيف لإبراهيم: لا تخف ولا يحم حول ساحتك الخوف والهلع[٢٠٥].

وفى قوله تعالى: «قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ» إشارة إلى أن الملائكة قد وجدوا دلائل الخوف وأمارات النّكر تظهر على إبراهيم، فقالوا له: «لا توجل» .. وهذا الموقف شبيه

---

(١٩٩) تفسير ابن كثير٥/٤٢٥،تفسير أبي السعود٦/١٠٧.

(٢٠٠) فتح القدير للشوكاني٣/٥٣٥،فتح البيان٩/٥٠،تفسير المراغي١٧/١١٣،تفسير السعدي١/٥٣٨،التفسير القرآني للقرآن٩/١٠٣٨،أضواء البيان٥/٢٥٨،زهرة التفاسير٩/٤٩٨٥،أوضح التفاسير١/٤٠٥،التفسير الحديث٦/٤٩،الموسوعة القرآنية١٠/٣٥٣،تفسير الشعراوي١٦/٩٨٢٠،التفسير الوسيط للطنطاوي٩/٣١٢،فتح الرحمن٤/٤٢٧،تفسير حدائق الروح والريحان١٨/٣٢٠،المختصر في تفسير القرآن١/٣٣٦،تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل٣/٢٥٨.

(٢٠١) سورة الحجر :٥٣.

(٢٠٢) سورة الذاريات:٢٨.

(٢٠٣) تفسير ابن كثير٤/٥٤٠.

(٢٠٤) فتح البيان في مقاصد القرآن٧/١٧٩.

(٢٠٥) تفسير المراغي١٤/٣٢.

بالموقف الذي كان من الملائكة حين دخلوا على داود، ففزع منهم، فقالوا له.. لا تخف، وفى هذا يقول الله تعالى:«وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ.. قالُوا لا تَخَفْ»[٢٠٦].

وفى قولهم: «إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ» تعجيل بهذه البشرى، لكى يطمئن قلبه إليهم، وتأنس نفسه بهم، وكى يذهب هذا الخبر العجيب بهذا الخوف الذي دخل عليه فجأة[٢٠٧].

الشعراوي: هكذا طمأنت الملائكة إبراهيم عليه السلام، وهَدَّأَتْ من رَوْعه، وأزالتْ مخاوفه، وقد حملوا له البشارة بأن الحق سبحانه سيرزقه بغلام سيصير إلي مرتبة أن يكون كثير العِلْم[٢٠٨].

. (وَجِلُونَ):

ورد لفظ وَجِلُونَ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ (٢٠٩).

(قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) أي قال إبراهيم للضيف: إنا خائفون منكم، لأنهم دخلوا عليه بلا إذن وفى وقت لا يجيء في مثله طارق، أو لأنه حين قرّب إليهم العجل الحنيذ لم يأكلوا منه، والضيف إذا لم يأكل مما يقدم له من الطعام يظنّ أنه لم يأت لخير، ويؤيد هذا قوله في سورة هود: «فَلَمَّا رَأى أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» [٢١٠].

وَضَمِيرُ إِنَّا مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- فَهُوَ يَعْنِي بِهِ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ، لِأَنَّ الضَّيْفَ طَرَقُوا بَيْتَهُمْ فِي غَيْرِ وَقْتِ طُرُوقِ الضَّيْفِ فَظَنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهِ شَرًّا، فَلَمَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ فَاتَحَهُمْ بِطَلَبِ الْأَمْنِ، فَقَالَ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ، أَيْ أَخَفْتُمُونَا. وَفِي سُورَةِ الذَّارِيَاتِ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: "قَوْمٌ مُنْكَرُونَ"[٢١١].

وَالْوَجِلُ: الْخَائِفُ. وَالْوَجَلُ- بِفَتْحِ الْجِيمِ- الْخَوْفُ. وَوَقَعَ فِي سُورَةِ هُودٍ " نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً"[٢١٢].

([٢٠٦]) سورة ص:٢١: ٢٢.

([٢٠٧]) التفسير القرآني للقرآن٧/٢٤٣.

([٢٠٨]) تفسير الشعراوي١٣/٧٧٢٢.

([٢٠٩]) سورة الحجر:٥٢.

([٢١٠]) تفسير المراغي١٤/٣٢.

([٢١١]) سورة الذاريات:٢٥

([٢١٢]) سورة هود:٧٠.

وَقَدْ جُمِعَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُتَفَرَّقُ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ، فَاقْتَصَرَ عَلَى مُجَاوَبَتِهِمْ إِيَّاهُ عَنْ قَوْلِهِ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ، فَنِهَايَةُ الْجَوَابِ هُوَ لَا تَوْجَلْ[٢١٣].

هذه الآيات حلقة من سلسلة قصصية، ومعانيها واضحة. وفيها إشارة إلى قصة تبشير إبراهيم عليه السلام بغلام بعد أن شاخ ويئس من الإنجاب [٢١٤].

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ جمع لأن الضيف يصلح للواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث. فَقالُوا سَلاماً أي سلموا سلاما .قالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ فزعون خائفون[٢١٥].

. (وَجِلَةٌ):

ورد لفظ وَجِلَةٌ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ (٢١٦).

أي الذين يعطون الصدقات وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم. وقرأت السيدة عائشة وكثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم «والذين يأتون ما أتوا» أي يرتكبون ما ارتكبوا من الذنوب «وقلوبهم وجلة» خائفة من عاقبة ما ارتكبوا {أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} أي لأنهم إلى ربهم راجعون فيعاقبهم على ما أتوه، أو يعاقبهم على المنع، أو على الرياء[٢١٧].

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ راجِعُونَ أي والذين يعطون العطاء، وهم وجلون خائفون ألا يتقبل منهم، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط روى الإمام أحمد والترمذي وابن أبي حاتم عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوْا، وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عزّ وجلّ؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصدّيق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو يخاف الله عزّ وجلّ» [٢١٨].

([٢١٣]) التحريروالتنوير ١٤/٥٨.

([٢١٤]) التفسير الحديث٤/٥١.

([٢١٥]) الموسوعة القرآنية١٠/١٨٣، اللباب في علوم الكتاب١١/٤٦٨.

([٢١٦]) سورة المؤمنون:٦٠.

([٢١٧]) أوضح التفاسير١/٤١٧، تفسير الشعراوي١٦/١٠٠٦٥..

([٢١٨]) التفسير المنير للزحيلي١٨/٦٥، التفسير الواضح٢/٦٣٢.

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت أربعة ألفاظ، تكررت في خمس آيات [٢١٩]، توزعت في الجدول على النحو الآتي:

([٢١٩])**المعجم المفهرس١١٦٤.**

المسلسل	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	وجلت	٢	سورة الأنفال: ٢. سورة الحج: ٣٥.
٢	توجل	١	سورة الحجر: ٥٣.
٣	وجلون	١	سورة الحجر: ٥٢.
٤	وجلة	١	سورة المؤمنون: ٦٠.

المبحث الخامس :القلب الخاشع

المجموعة الدلالية الأولى:(خ ش ع)

الفاظ هذه المجموعة: خشعت . تخشع ـ خشوعا . خاشعا. خاشعون . خاشعين . خشعا . خاشعة . الخاشعات.

ذكر لفظ الخشوع في القرآن الكريم في (١٦) آية، وتكرر(١٧) مرة، منها :(٨)مرات بصيغة الجمع: خاشعون مرة واحدة، خاشعين(٥) مرات، خشعا مرة واحدة، الخاشعات مرة واحدة. وذكر بصيغة المفرد(٩) مرات، منها: خشعت مرة واحدة، تخشع مرة واحدة، خشوعا مرة واحدة، خاشعا مرة واحدة، خاشعة (٥) مرات.

اقترن لفظ الخشوع بالقلب مرة واحدة في سورة الحديد.

الخشوع يكون بالقلب أولا لأنه من فعل القلب ثم يتبعه خشوع البصر والصوت والوجه فيظهر عليهم .

أنواع الخشوع الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالْبَصَرِ وَالصَّوْتِ[٢٢٠].خاشِعُونَ: خائفون بالقلب، ساكنون بالجوارح. والخشوع في الصلاة بجمع الهمّة لها، والإعراض عمّا سواها، ومن الخشوع أن لا يجاوز بنظره موضع سجوده[٢٢١].وحكى ابن حجر عن الفخر الرّازيّ في تفسيره أنّ الخشوع تارة يكون من فعل القلب كالخشية، وتارة من فعل البدن كالسّكون، وقيل: لا بدّ من اعتبارهما، وقال غيره: هو معنى يقوم بالنّفس يظهر عنه سكون في الأطراف يلائم مقصود العبادة[٢٢٢].

وهذا خشوع المؤمنون الطائعون.

([٢٢٠]) تفسير البغوي٥/٤٠٨.

([٢٢١]) إيجاز البيان عن معاني القرآن٢/٥٨٤.

(٢٢٢) نضرة النعيم٥/١٨٢٥.

وهناك خشوع العصاة قال تعالى: (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ)[٢٢٣]؛ لأن اللَّه – تعالى – أذلهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم، وأعطوا أنفسهم شهواتهم ومناهم[٢٢٤].

{أَبْصارُها خاشِعَة}[٢٢٥]، فيه وجهان: أحدهما: ذليلة ، قاله قتادة. الثاني: خاضعة[٢٢٦].

قوله: {أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ} أي: مُنْكَسِرةٌ ذليلة من هول ما ترى[٢٢٧].{خَاشِعَةٌ}، أي: ذليلة من الخوف بسبب الإعراض عن الله، والإقبال على ما سواه، يترقبون أي شيء ينزل عليهم من الأمور العظام، وأسند الخشوع إليها مجازًا؛ لأن أثره يظهر فيها[٢٢٨].

---

(٢٢٣) سورة الشورى:٤٥.

(٢٢٤) تفسير الماوردي٥/٢٠٩.

(٢٢٥) سورة النازعات:٩.

(٢٢٦) تفسير الماوردي٦/١٩٥،الوجيزللواحدي١/١١٧٠،المنتخب في تفسير القرآن١/٨٨١،صفوة التفاسير٣/٤٨٩،التفسير الواضح٣/٨١٦،فتح الرحمن في تفسير القرآن٧/٢٧١.

(٢٢٧) اللباب في علوم الكتاب٢٠/١٢٩،تنوير المقباس١/٥٠٠،أوضح التفاسير١/٧٣١..

(٢٢٨) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٣١/٧٤.

خشع لغة :

مصدر خشع يخشع وهو مأخوذ من مادّة (خ ش ع) الّتي تدلّ كما يقول ابن فارس على معنى واحد هو التّطامن، يقال خشع فلان إذا تطامن وطأطأ رأسه وهو قريب المعنى من الخضوع، إلّا أنّ الخضوع في البدن ، والخشوع في البدن والصّوت والبصر، قال تعالى:" خاشِعَةً أَبْصارُهُمْ "[٢٢٩].

قال ابن دريد: الخاشع: المستكين والرّاكع، وقال الرّاغب: الخشوع الضّراعة، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح، والضّراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي: إذا ضرع القلب خشعت الجوارح.

وذكرت كتب اللّغة أنّ الخشوع هو الخضوع، يقال خشع يخشع خشوعا، واختشع وتخشّع: رمى ببصره نحو الأرض [٢٣٠].

وكل ساكن خاضع خاشع. والتخشع لله :الإخبات والتذلل. وخشع سنام البعير ، إذ أفضى فذهب شحمه وتطأطأ شرفه ، وجدار خاشع ، إذا تداعى واستوى مع الأرض[٢٣١].

خشع اصطلاحا:

الخشوع والخضوع والتواضع :بمعنى واحد ، وفي اصطلاح أهل الحقيقة :الخشوع :الانقياد للحق، وقيل :هو الخوف الدائم في القلب ، قيل من علامات الخشوع أن العبد إذا غضب أو خولف أو رد عليه استقبل ذلك بالقبول [٢٣٢].

الخشوع: بالجوارح ،ولذلك إذا تواضع القلب خشعت الجوارح .والمراد به: قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل وهذا الخشوع يأتي عند ذكر الله تعالى، يقول المولى سبحانه: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ

([٢٢٩]) سورة القلم:٤٣.

([٢٣٠]) نضرة النعيم٥/١٨٢٤، العين ١/٤١٠ ، باب الخاء ..

([٢٣١]) تهذيب اللغة للأزهري ١/١٥٢ .

([٢٣٢]) التعريفات ، الجرجاني ، ١٠٢ .

مِنْ قَبْلُ فَطالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ" [٢٣٣]، ويقول جل من قائل: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ (٢)" [٢٣٤] .

ومن هذه الآيات الكريمة نستنبط أمرين مهمين: الأول: أن الخشوع في الصلاة هو أول صفات المؤمنين، الثاني: أن ثمرته هو الفلاح، وأن أصحابه من الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُون[٢٣٥].

وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة[٢٣٦] .

ذكر بعض المفسّرين أنّ الخشوع في القرآن على أربعة أوجه[٢٣٧]:

أحدها: الذّلّ. ومنه قوله تعالى في طه: "وَخَشَعَتِ الْأَصْواتُ لِلرَّحْمنِ "[٢٣٨].

والثّاني: سكون الجوارح. ومنه قوله تعالى في المؤمنين:"الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ "[٢٣٩].

والثّالث: الخوف. ومنه قوله تعالى في الأنبياء: "وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ"[٢٤٠].

والرّابع: التّواضع. ومنه قوله تعالى في البقرة: "وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخاشِعِينَ"[٢٤١].

ويمكن أن يضاف إلى ذلك وجه خامس وهو: اليبس والجمود، وذلك كما في قوله تعالى:" وتَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً"[٢٤٢].

.(خَشَعَتِ):

وقد ورد ذكر لفظ خَشَعَتِ في القرآن الكريم مرة واحدة:

([٢٣٣]) سورة الحديد :١٦

([٢٣٤]) سورة المؤمنون ١، ٢.

([٢٣٥]) موسوعة نضرة النعيم١/٣٢.

([٢٣٦]) السابق١/٦٣.

([٢٣٧]) نضرة النعيم٥/١٨٢٥، ١٨٢٦.

([٢٣٨]) سورة طه:١٠٨

([٢٣٩]) سورة المؤمنون:٢.

([٢٤٠]) سورة الأنبياء:٩٠.

([٢٤١]) سورة البقرة:٤٥.

([٢٤٢]) سورة فصلت:٣٩.

قال تعالى:﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾(٢٤٣).

"وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ "أي: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن. فلا تسمع إلا همساً.
أي: حس الأقدام إلى المحشر (٢٤٤).
والخشوع هنا متعلق بالأصوات.
.(تَخْشَعَ):

ورد لفظ تَخْشَعَ في القرآن الكريم مرة واحدة:
قال تعالى:﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ **(٢٤٥)**.

كُلَّ فِعْلٍ مُضَارِعٍ فِي الْقُرْآنِ مَجْزُومٌ بِـ «لَمْ» إِذَا تَقَدَّمَتْهَا هَمْزَةُ الِاسْتِفْهَامِ كَمَا هُنَا – فِيهِ وَجْهَانِ مِنَ التَّفْسِيرِ مَعْرُوفَانِ.
الْأَوَّلُ مِنْهُمَا: هُوَ أَنْ تُقْلَبَ مُضَارَعَتُهُ مَاضَوِيَّةً، وَنَفْيُهُ إِثْبَاتًا، فَيَكُونَ بِمَعْنَى الْمَاضِي الْمُثْبَتِ، لِأَنَّ «لَمْ» حَرْفٌ تَقْلِبُ الْمُضَارِعَ مِنْ مَعْنَى الِاسْتِقْبَالِ إِلَى مَعْنَى الْمُضِيِّ، وَهَمْزَةُ الِاسْتِفْهَامِ إِنْكَارِيَّةٌ، فِيهَا مَعْنَى النَّفْيِ، فَيَتَسَلَّطُ النَّفْيُ الْكَامِنُ فِيهَا عَلَى النَّفْيِ الصَّرِيحِ فِي «لَمْ» فَيَنْفِيهِ، وَنَفْيُ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ، فَيَرْجِعَ الْمَعْنَى إِلَى الْمَاضِي الْمُثْبَتِ. وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ» أَيْ: آنَ لِلَّذِينِ آمَنُوا.
وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الِاسْتِفْهَامَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ لِلتَّقْرِيرِ، وَهُوَ حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى أَنْ يَقِرَّ فَيَقُولَ: بَلَى. وَقَوْلُهُ: «يَأْنِ» : هُوَ مُضَارِعُ «أَنَى يَأْنَى» إِذَا جَاءَ إِنَّاهُ أَيْ وَقْتُهُ،
وَالْمَعْنَى عَلَى كِلَا الْقَوْلَيْنِ أَنَّهُ حَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَى لَهُمْ أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ، أَيْ جَاءَ الْحِينُ وَالْأَوَانُ لِذَلِكَ، لِكَثْرَةِ مَا تَرَدَّدَ عَلَيْهِمْ مِنْ زَوَاجِرِ الْقُرْآنِ وَمَوَاعِظِهِ.
قَوْلُهُ: «خَاشِعٍ» أَيْ مُنْخَفِضٍ مُطْمَئِنٍ، وَالْخُشُوعُ فِي الشَّرْعِ خَشْيَةٌ مِنَ اللَّهِ تُدَاخِلُ الْقُلُوبَ، فَتَظْهَرُ آثَارُهَا عَلَى الْجَوَارِحِ بِالِانْخِفَاضِ وَالسُّكُونِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْخَائِفِ. (٢٤٦)

---

(٢٤٣) سورة طه:١٠٨.
(٢٤٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٧/٤٧٠٠،تفسير الماوردي٣/٤٢٥،الوجيز للواحدي١/٧٠٦، تفسير السمعاني٣/٣٥٥،تفسير أبي السعود٦/٤٢،محاسن التأويل٧/١٤٨،تفسير السعدي١/٥١٣.
(٢٤٥) سورة الحديد:١٦.

.(خُشُوعًا):

ورد لفظ خُشُوعًا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى:﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (٢٤٧) .

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ، أَيْ: يَقَعُونَ عَلَى الوجوه يبكون، والبكاء مُسْتَحَبٌّ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَيَزِيدُهُمْ، نُزُولُ الْقُرْآنِ، خُشُوعاً، خُضُوعًا لِرَبِّهِمْ(٢٤٨)، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا (٢٤٩)

فِيهِ أَرْبَعُ مسائل: الاولى– قوله تعالى: (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ يَبْكُونَ) هَذِهِ مُبَالَغَةٌ فِي صِفَتِهِمْ وَمَدْحٌ لَهُمْ. وَحُقَّ لِكُلِّ مَنْ تَوَسَّمَ بِالْعِلْمِ وَحَصَلَ مِنْهُ شَيْئًا أَنْ يَجْرِيَ إِلَى هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ، فَيَخْشَعَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ وَيَتَوَاضَعَ وَيَذِلَّ. وَالْأَذْقَانُ جَمْعُ ذَقَنٍ، وَهُوَ مُجْتَمَعُ اللِّحْيَيْنِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: الْأَذْقَانُ عِبَارَةٌ عَنِ اللِّحَى. أَيْ يَضَعُونَهَا عَلَى الْأَرْضِ فِي حَالِ السُّجُودِ، وَهُوَ غَايَةُ التَّوَاضُعِ. وَاللَّامُ بِمَعْنَى عَلَى، تَقُولُ: سَقَطَ لَفِيهِ أَيْ عَلَى فِيهِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً" أَيْ لِلْوُجُوهِ. وَإِنَّمَا خَصَّ الْأَذْقَانَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّ الذقن أقرب شيء من وجه الإنسان. ولا يجوز السُّجُودُ عَلَى الذَّقَنِ. لَأَنَّ الذَّقَنَ هَاهُنَا عِبَارَةٌ عَنِ الْوَجْهِ، وَقَدْ يُعَبَّرُ بِالشَّيْءِ عَمَّا جَاوَرَهُ وَبِبَعْضِهِ عَنْ جَمِيعِهِ. فَيُقَالُ: خَرَّ لِوَجْهِهِ سَاجِدًا وإن كان لم يسجد على خده ولا عينه. ألا ترى إلى قوله: خر صريعا على وجهه ويديه. الثَّانِيَةُ– قَوْلُهُ تَعَالَى: (يَبْكُونَ) دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ الْبُكَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ تَعَالَى (٢٥٠).

---

(٢٤٦) أضواء البيان:٥٤٦/٧، ٥٤٧.

(٢٤٧) سورة الإسراء ١٠٩ .

(٢٤٨) تفسير البغوي. إحياء التراث١٦٧/٣،زاد المسير٥٩/٣.

(٢٤٩) سورة مريم:٥٨.

(٢٥٠) تفسير القرطبي٣٤٢/١٠،تفسير ابن كثير١٢٨/٥،اللباب في علوم الكتاب٤٠٨/١٢.

. (خَاشِعًا):

ورد لفظ خَاشِعًا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ **(٢٥١)** .

أي: لو أنزل الله عز وجل هذا القرآن على جبل وهو حجر أصم لرأيته يا محمد على قساوته وشدته متذللاً متضرعاً حذراً من ألا يؤدي حق الله عز وجل المفترض عليه .

وقيل: المعنى: (على جبل) على عظمته وشدته وجعلنا فيه ما يميز: لذل وخضع.

ثم قال: {وَتِلْكَ الأمثال نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} أي: نمثل لهم لعلهم يتفركون فيها فيعتبروا ويزدجروا[٢٥٢].

وضرب الله تعالى هذا المثل ليتفكر فيه العاقل ويخشع ويلين قلبه[٢٥٣].و «الخاشع» : المتطأطئ الخاضع، و «المتصدِّع» : المتشقِّق. وهذا توبيخ لمن لا يحترم القرآن، ولا يؤثِّر في قلبه مع الفهم والعقل[٢٥٤].

.(خَاشِعُونَ):

ورد لفظ خَاشِعُونَ في القرآن الكريم مرة واحدة.

قال تعالى :﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ **(٢٥٥).**

البغوي: قَوْلُهُ تَعَالَى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} "قَدْ" حَرْفُ تَأْكِيدٍ، وَقَالَ الْمُحَقِّقُونَ: "قَدْ" تُقَرِّبُ الْمَاضِيَ مِنَ الْحَالِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَلَاحَ قَدْ حَصَلَ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ عَلَيْهِ فِي الْحَالِ، وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْ تَجْرِيدِ ذِكْرِ الْفِعْلِ، "وَالْفَلَاحُ" النَّجَاةُ وَالْبَقَاءُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَدْ سَعِدَ الْمُصَدِّقُونَ بِالتَّوْحِيدِ وَبَقُوا فِي الْجَنَّةِ. {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْخُشُوعِ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مُخْبِتُونَ أَذِلَّاءُ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: خَائِفُونَ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: مُتَوَاضِعُونَ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ غَضُّ الْبَصَرِ وَخَفْضُ الصَّوْتِ.

([٢٥١]) سورة الحشر ٢١ .

([٢٥٢]) الهداية إلى بلوغ النهاية٧٤٠٨/١١، لطائف الإشارات٥٦٦/٣، تفسير السمعاني ٤٠٨/٥،تفسير البغوي٦٦/٥.

([٢٥٣]) تفسير ابن عطية٢٩١/٥،إيجاز البيان٨١٢/٢.

([٢٥٤]) زاد المسير في علم التفسير٢٦٤/٤.

([٢٥٥]) سورة المؤمنون:١، ٢ .

وَالْخُشُوعُ قَرِيبٌ مِنَ الْخُضُوعِ إِلَّا أَنَّ الْخُضُوعَ فِي الْبَدَنِ، وَالْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ وَالْبَصَرِ وَالصَّوْتِ[٢٥٦].

خاشِعُونَ: خائفون بالقلب، ساكنون بالجوارح. والخشوع في الصلاة بجمع الهمّة لها، والإعراض عمّا سواها، ومن الخشوع أن لا يجاوز بنظره موضع سجوده[٢٥٧].

روى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال: «لقد أُنزلت علينا عشر آيات من أقامهنَّ دخل الجنة، ثم قرأ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إلى عشر آيات» [٢٥٨].

([٢٥٦]) تفسير البغوي٥/٤٠٨.

([٢٥٧]) إيجاز البيان عن معاني القرآن٢/٥٨٤، زاد المسير٣/٢٥٤،مفاتيح الغيب٢٣/٢٥٩..

([٢٥٨]) مصنف عبدالرازق الصنعاني٣/٣٨٣،مسند أحمدط الرسالة١/٣٥١،المنتخب من مسندعبد ابن حميد،ت صبحي١/٣٤،سنن الترمذي ،ت بشار٥/١٧٩،السنن الكبرى:للنسائي/٢/١٧٠،شرح مشكل الآثار١٠/٢٩٤،المستدرك على الصحيحين للحاكم١/٧١٧،الدعوات الكبير١/٣٣١،شرح السنه للبغوي٥/١٧٧،الأحاديث المختاره أو المستخرج من الأحاديث١/٣٤٢،شرح البخاري للسفيري١/١٧٢،الفتح الكبيرفي ضم الزيادة إلى الجامع الكبير١/٢٦١،المسند الجامع١٤/١١،الجامع الصغير وزيادته١/٣٢٦٧،جامع الأحاديث٧/٧٣.

. (خَاشِعِينَ):

ورد لفظ خَاشِعِينَ في القرآن الكريم ثلاث مرات:

قال تعالى:﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ **(٢٥٩)**.

ابن عطية: نزلت بسبب أصحمة النجاشي سلطان الحبشة، وذلك أنه كان مؤمنا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما مات عرف بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: اخرجوا فصلوا على أخ لكم، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، فكبر أربعا، وفي بعض الحديث: أنه كشف لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن نعشه في الساعة التي قرب منها للدفن، فكان يراه من موضعه بالمدينة، فلما صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط، فنزلت هذه الآية، وكان أصحمة النجاشي نصرانيا، وأصحمة تفسيره بالعربية عطية، وقال قوم: نزلت في عبد الله بن سلام، وقيل :نزلت في جميع من آمن من أهل الكتاب[٢٦٠].وقيل: في أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى، فآمنوا بالنبي صلّى الله عليه وسلّم، قاله عطاء [٢٦١].

ابن كثير: يخبرُ تَعَالَى عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ، مَعَ مَا هُمْ يُؤْمِنُونَ بِهِ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَنَّهُمْ خَاشِعُونَ لِلَّهِ، أَيْ: مُطِيعُونَ لَهُ خَاضِعُونَ مُتَذَلِّلُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، {لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا} أَيْ: لَا يَكْتُمُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْبِشَارَاتِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ صِفَتَهُ وَنَعْتَهُ وَمَبْعَثَهُ وَصِفَةَ أُمَّتِهِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ خِيرَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَصَفْوَتُهُمْ، سَوَاءً كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى[٢٦٢].

قال تعالى:﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ **(٢٦٣)**.

([٢٥٩]) سورة ال عمران ١٩٩ .

([٢٦٠]) تفسير ابن عطية١/٥٥٩.

([٢٦١]) زاد المسير١/٣٦٤،تفسير البيضاوي٢/٥٦.

([٢٦٢]) تفسير ابن كثير٢/١٩٣.

([٢٦٣]) سورة الأنبياء ٩٠ .

ابن عباس: {فاستجبنا لَهُ} الدُّعَاء {وَوَهَبْنَا لَهُ يحيى} ولدا صَالحا {وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ} بِالْوَلَدِ {إِنَّهُمْ} يَعْنِي الْأَنْبِيَاء وَيُقَال زَكَرِيَّا وَيحيى {كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخيرَات} يبادرون إِلَى الطَّاعَات {وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً} هَكَذَا وَهَكَذَا وَيُقَال يعبدوننا رغباً إِلَى الْجنَّة ورهباً من النَّار {وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ} متواضعين مُطِيعِينَ(٢٦٤).

أبو السعود:{وَكَانُواْ لَنَا خاشعين} أي مُخْبتين متضرعين أو دائمي الوجَل والمعنى أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافِهم بهذه الخصال الحميدة(٢٦٥).

القاسمي: فَاسْتَجَبْنا لَهُ أي دعاءه وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ أي أصلحناها للولادة بعد عقرها، معجزة وكرامة له. وقوله تعالى:

إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ تعليل لما فصّل من فنون إحسانه تعالى، المتعلقة بالأنبياء المذكورين، أي كانوا يبادرون في كل باب من الخير. وإيثار (في) على (إلى) للإشارة إلى ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير. لأن (إلى) تدل على الخروج عن الشيء والتوجه إليه وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً أي ذوي رغب ورهب، أو راغبين في الثواب راجين للإجابة وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ أي مخبتين متضرعين(٢٦٦).

قال تعالى:﴿وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ (٢٦٧).

الطبري: يقول تعالى ذكره: وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ) يقول: خاضعين متذللين(٢٦٨).

الماوردي: وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ)؛ لأن اللَّه – تعالى – أذلهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم، وأعطوا أنفسهم شهواتهم ومناهم.

قوله عز وجل: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضَونَ عَلَيهَا} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنهم المشركون جميعاً يعرضون على جهنم عند إطلاقهم إليها، قاله الأكثرون. الثاني: آل فرعون خصوصاً تحبس أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح ، قاله ابن مسعود. الثالث: أنهم عامة

---

(٢٦٤) تنوير المقباس١/٢٧٥

(٢٦٥) تفسير أبي السعود٦/٨٣،فتح البيان٨/٣٦٨.

(٢٦٦) تفسير القاسمي٧/٢٢٠.

(٢٦٧) سورة الشورى ٤٥ .

(٢٦٨) تفسير الطبري٢١/٥٥٢.

المشركين ويعرضون على العذاب في قبورهم ، وهذا معنى قول أبي الحجاج[٢٦٩].{خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ} قال السدي: خاضعين من الذل. {يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ} فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: ينظرون بأبصار قلوبهم دون عيونهم لأنهم يحشرون عمياً ، قاله أبو سليمان. الثاني: يسارقون النظر إلى النار حذراً ، قاله محمد بن كعب. الثالث: بطرفٍ ذليل ، قاله ابن عباس[٢٧٠].

. (الْخَاشِعِينَ):

ورد لفظ الْخَاشِعِينَ في القرآن الكريم مرتين منها:

قال تعالى:﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ (٢٧١).

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم بمعنى الخاضعين ويعني بقوله تعالى :"إلا على الخاشعين" إلا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته ، المصدقين بوعد ووعيده.

عن ابن عباس "إلا على الخاشعين" ، يعني المصدقين بما أنزل الله.

عن أبي العالية في قوله :"إلا على الخاشعين" ، قال يعني الخائفين .

الطبري: قال :قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم ، وخشعوا له .

وأصل "الخشوع" التواضع والتذلل والاستكانة.

ومعنى الخاشعين في الآية :المتواضعين لله ، والمستكينين لطاعته ، المتذللين من مخافته[٢٧٢].

الرازي :وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون الموت في كل لحظة ، وذلك لأن كل من كان متوقعا للموت في كل لحظة فإنه لا يفارق قلبه الخشوع فهم يبادرون إلى التوبة ، لأن خوف الموت مما يقوي دواعي الخشية ولأنه مع خشوعه لابد في كل حال من أن لا يأمن تقصيرا جرى منه فيلزمه التلافي[٢٧٣] .

---

(٢٦٩) تفسير الماوردي٥/٢٠٩.

(٢٧٠) السابق٥/٢١٠.

(٢٧١) سورة البقرة ٤٥ .

(٢٧٢) تفسير الطبري ، جامع البيان ، ٢/ ١٦، ١٧ .

(٢٧٣) تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب ، ٣/٥٣، ٥٤ . تفسير ابن كثير ١/٢٥٣، تفسير البحر المحيط ١/٣٤٢.

ابن كثير: الخاشعين :اللذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ، أي:(يعلمون أنهم) محشورون إليه يوم القيامة ، معرضون عليه ، وأنهم إليه راجعون ، أي أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها ما يشاء ، فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات [٢٧٤] .

والخاشعون :المتواضعون المخبتون ، والخشوع هيئة في النفس يظهر منها على الجوارح سكون وتواضع (٢٧٥).

. (خُشَّعًا):

ورد لفظ خُشَّعًا في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ **(٢٧٦).**

السمعاني: وَقَوله {خشعا أَبْصَارهم} أَي: خاشعة أَبْصَارهم، يَعْنِي: ذليلة[٢٧٧].

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ" أَيْ: ذَلِيلَةً خَاضِعَةً عِنْدَ رُؤْيَةِ الْعَذَاب [٢٧٨].

متعلق بالبصر.

. (خَاشِعَةً):

ورد لفظ خَاشِعَةً في القرآن الكريم خمس مرات منها:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ **(٢٧٩).**

متعلق بخشوع الأرض.

قال تعالى:﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ **(٢٨٠).**

([٢٧٤]) **تفسير القرآن العظيم ٢٥٤/١ .**

([٢٧٥]) **تفسير الثعالبي ٢٣٢/١ .فتح الرحمن في تفسير القران ٩٥/١ .**

([٢٧٦]) **سورة القمر: ٧ .**

([٢٧٧]) **تفسير السمعاني٣٠٩/٥،تفسير ابن كثير٤٧٦/٧.**

([٢٧٨]) **الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية٣٦٩/٢.**

([٢٧٩]) **سورة فصلت ٣٩ .**

([٢٨٠]) **سورة القلم ٤٣ .**

(خاشعة أبصارهم) حال من ضمير يدعون ونسبة الخشوع إلى الأبصار وهو الخضوع والذلة لظهور أثره فيها (ترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) شديدة وحسرة وندامة وصغار (وقد كانوا) في الدنيا (يدعون إلى السجود) دعوة تكليف [٢٨١].

. (الْخَاشِعَاتِ):

ورد لفظ الْخَاشِعَاتِ في القرآن الكريم مرة واحدة:

قال تعالى :﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ **(٢٨٢)**.

ورد في سبب نزول هذه الآية روايات منها: ما أخرجه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما، عن أم سلمة– رضى الله عنها– قالت: قلت للنبي صلّى الله عليه وسلم: مالنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني منه صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم إلا نداؤه على المنبر، وهو يتلو هذه الآية: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ....

وأخرج الترمذي وغيره عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي صلّى الله عليه وسلّم فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء، فنزلت هذه الآية.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة قال: دخل نساء على أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم فقلن: قد ذكركن الله– تعالى– في القرآن، وما يذكرنا بشيء أما فينا ما يذكر، فأنزل الله– تعالى– هذه الآية [٢٨٣].والمعنى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ والإسلام: الانقياد لأمر الله– تعالى– وإسلام الوجه له– سبحانه– وتفويض الأمر إليه وحده.

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ والإيمان: هو التصديق القلبي، والإذعان الباطني، لما جاء به النبي صلّى الله عليه وسلم.

وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ والقنوت: هو المواظبة على فعل الطاعات عن رضا واختيار.

([٢٨١]) فتح البيان في مقاصد القرآن١٤/٢٧٥، تفسير القاسمي٩/٣٠٣،تفسير المراغي٢٩/٤٠، التفسير الحديث١/٣٨١.

([٢٨٢]) سورة الأحزاب ٣٥ .

([٢٨٣]) التفسير الوسيط للطنطاوي١١/٢١٠.

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ والصدق: هو النطق بما يطابق الواقع، والبعد عن الكذب والقول الباطل..

وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ والصبر: هو توطين النفس على احتمال المكاره والمشاق في سبيل الحق، وحبس النفس عن الشهوات.

وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ والخشوع: صفة تجعل القلب والجوارح في حالة انقياد تام لله– تعالى– ومراقبة له، واستشعار لجلاله وهيبته.

وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ والتصدق: تقديم الخير إلى الغير بإخلاص، دفعا لحاجته، وعملا على عونه ومساعدته.

وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ والصوم: هو تقرب إلى الله– تعالى–، واستعلاء على مطالب الحياة ولذائذها، من أجل التقرب إليه– سبحانه– بما يرضيه.

وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ وحفظ الفرج: كناية عن التعفف والتطهر والتصون عن أن يضع الإنسان شهوته في غير الموضع الذي أحله الله– تعالى–. وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ وذكر الله– تعالى– يتمثل في النطق بما يرضيه كقراءة القرآن الكريم، والإكثار من تسبيحه– عز وجل– وتحميده وتكبيره..

وفي شعور النفس في كل لحظة بمراقبته– سبحانه–.

هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات من الرجال والنساء أَعَدَّ اللَّهُ– تعالى– لَهُمْ مَغْفِرَةً واسعة لذنوبهم وَأَجْراً عَظِيماً لا يعلم مقداره إلا هو– عز وجل– [٢٨٤].

{والْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ} فيه ثلاثة أوجه: أحدها: المتواضعين والمتواضعات ، الثاني: الخائفين والخائفات: الثالث: المصلين والمصليات[٢٨٥].وَيُقَال: إن المُرَاد بالخشوع هُوَ الْخُشُوع فِي الصَّلَاة.

وَعَن سعيد بن جُبَير قَالَ: الْخُشُوع فِي الصَّلَاة أَلا يعلم من على يَمِينه وَلَا من على يساره[٢٨٦].

ومن خلال الدراسة ظهر لي أن الخشوع نوعان :

([٢٨٤]) السابق ٢١١/١١. صفوة التفاسير٤٧٦/٢.

([٢٨٥]) تفسير الماوردي٤٠٣/٤.

([٢٨٦]) تفسير السمعاني٢٨٣/٤.

الأول :خشوع المسلمين في الدنيا والآخرة ،خشوع القلب والصوت وخشوع في الصلاة وخشوع البصر .

الآخر: خشوع العصاة والكفار والمشركين في الآخرة خشوع في البصر وفي الوجوه فقط لا يعرفون الخشوع في الدنيا ولكن يخشع بصرهم وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: (خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ)[٢٨٧]؛ لأن اللَّه – تعالى – أذلهم في الآخرة بما اختاروا في الدنيا من سوء صنيعهم، وأعطوا أنفسهم شهواتهم ومناهم، أي يوم يخرجون من قبورهم إذا دعاهم الداعي لموقف الحساب ، فإذا جاء وعد الله سبحانه .. هلعت قلوبهم، وانشقت مرائرهم، واضطربت نفوسهم، وخشعت أبصارهم من هول ذلك المشهد العظيم .

نخلص مما سبق أن ألفاظ هذه المجموعة التي وردت في القرآن الكريم قد بلغت تسع ألفاظ وردت في ستة عشر آية توزعت في الجدول الآتي:

م	اللفظ	عدد مرات وروده	وروده في القرآن الكريم
١	خشعت	١	سورة طه ١٠٨
٢	تخشع	١	سورة الحديد ١٦
٣	خشوعا	١	سورة الإسراء:١٠٩.
٤	خاشعا	١	سورة الحشر:٢١.
٥	خاشعون	١	سورة المؤمنون:٢.
٦	خاشعين	٥	سورة البقرة:٤٥. سورة آل عمران:١٩٩،سورة الأنبياء:٩٠،سورة الأحزاب:٣٥،سورة الشورى:٤٥.
٧	خشعا	١	سورة القمر:٧.
٨	خاشعة	٥	سورة فصلت:٣٩،سورةالقلم:٤٣،سورة المعارج:٤٤،سورة النازعات:٩،سورة

(٢٨٧) سورة الشورى:٤٥.

			الغاشية: ٢.
٩	الخاشعات	١	سورة الأحزاب: ٣٥.

إن للقلب مكانة عظيمة,فالقـــــــلب

ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنـــــوده,

وهم مع هذا جنود طائعـــــــــون له

منبعثـــــون في طاعته وتنفيذ أوامره

لا يخالفـــــونه في شـــــئ من ذلك,

فإن كان الملك صالحـــــــاً كانت هذه

الجنود صالحة, وإن كان فاســـداً كانت

جنـــــوده بهذه المشابهة فاســـدة

ولا ينفع عند اللّه إلا القلب السليـم.....

تصميم الغلاف :م/نداء إبراهيم